الشَّرَف المُؤَبَّد لآل محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

تأليف

قاضي القضاة

يوسف بن إسماعيل النبهاني

الشافعي الفلسطيني

اعتنى به

خادم العلم الشريف

أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمشايخه



اَلطَّبْعَـةُ الأولَى

1436 هـ ـــ 2015 ر

ISBN: 978-9938-14-002-6

بين يدي القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم وفهم وأنعم وكرم، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، أما بعد،،،

فإنا نلفت عناية القارئ الكريم أننا قد حرصنا بأن نطرح الكتاب على هيئته الأصلية التي صاغتها يد المؤلف رحمه الله، من غير زيادة أو نقصان، إلا ما كان من قبيل ترجمة المؤلف لكي يكون القارئ على بينة من هذا العالم الرباني، على أن لا يمتنع أن يُلاحظ بعض القُراءِ من العلماء وطلبة العلم الساعين للبحث عن الحق أن ما في الكتاب قد لا يتوافق مع آرائهم التي يحملونها، لذا نرجو من كل من يطلع على هذا الكتاب أن يتصفحه جيداً ويتدبر ما فيه من كيفية تنزيل الفروع على الأصول واستخراج الدليل، وتنزيله على الحكم، وأن يكون منصفاً للحق وأهله، وإذا ما وجد خطأً فليصلحه ويبين ذلك ولا يمس أصل الكتاب فقد قال الشاطبي في حرز الأماني :

وإن كـــــان خـــرقٌ فادركـــه بفضـــلة
مـــن الحـــلم وليصـــلحه مـــن جـاد مقــولا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللّٰهُمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

إعداد

المركز الوطني للبحوث والدراسات

آل البيت ــ فلسطين

1 رمضان 1436 هجري الموافق 18 يونيو 2015 رومي

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الشيخ العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني رحمه الله تعالى

الاسم والنسب:

هو العالم الراسخ المتقن الورع، الحجة التقي العابد، القاضي الفقيه الصوفي، المتفاني في حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المكثر من مدائحه، بوصيري عصره، يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني.

ونسبته إلى بني نبهان من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية إجْزِمْ التابعة لحيفا في شمال فلسطين.

مولده:

ولد الشيخ في قرية إجْزِمْ سنة 1265 هجري الموافق 1849 رومي، ونشأ في أسرة كريمة شريفة ميسورة، مشهورة بالصلاح والتقوى، وكان والده رحمه الله صاحب دين وخلق وعلم، ذا همة عالية، وثقافة واسعة، مستغرقاً أكثر أوقاته في طاعة الله تعالى، كان ورده في كل يوم وليلة ثلث القرآن، ثم صار يختم في كل أسبوع ثلاث ختمات.

نشأته وتعليمه:

قرأ القرآن على والده المتقن لكتاب الله الصالح الشيخ إسماعيل النبهاني، وحفظ على يديه الكثير من المتون في علوم الفقه والنحو والبلاغة، ثم بعثه

أبوه إلى مصر لطلب العلم، فدخل الجامع الأزهر يوم السبت غرة محرم الحرام، سنة 1283 هجري، وبقي فيه إلى رجب سنة 1289 هجري، وفي هذه الفترة أخذ ما قدره الله له من العلوم الشرعية ووسائلها، عن أساتذة الشيوخ المحققين، وجهابذة العلماء الراسخين، من لو انفرد كل واحد منهم في إقليم، لكان قائد أهله إلى جنة النعيم، وكفاهم عن كل ما عداه في جميع العلوم، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم.

شيوخه:

- الأستاذ العلامة المحقق، والملاذ الفهامة المدقق، شيخ المشايخ وأستاذ الأساتذة الشيخ إبراهيم السقا الشافعي، المتوفى سنة 1298 هجري، عن نحو التسعين سنة، لازم الشيخُ النبهاني دروسه ثلاث سنوات، وقرأ عليه شرحي التحرير والمنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري بحاشيتهما للشرقاوي والبجيرمي، وقد أجازه رحمه الله تعالى.
- الشيخ المعمر العلامة السيد محمد الدمنهوري الشافعي، المتوفى سنة 1286 هجري عن نحو التسعين سنة.
- العلامة الشيخ إبراهيم الزرو الخليلي الشافعي، المتوفى سنة 1287 هجري عن نحو السبعين.
- العلامة الشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي، المتوفى سنة 1293 هجري، عن نحو الستين.

- العلامة الشيخ حسن العدوي المالكي، المتوفى سنة 1298 هجري، عن نحو الثمانين.
- العلامة الشيخ السيد عبد الهادي نجا الأبياري، المتوفى سنة 1305 هجري، وقد أناف على السبعين.
- العلامة وحيد مصر وفريد هذا العصر الشيخ شمس الدين محمد الأنبابي الشافعي شيخ الجامع الأزهر، لازم دروسه سنتين في شرح الغاية لابن قاسم، والخطيب، وفي غيرهما.
- العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي.
- العلامة الشيخ عبد القادر الرافعي الحنفي الطرابلسي شيخ رواق الشوام.
- العلامة الشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي شيخ رواق الحنابلة.
- وله غيرهم الكثير والكثير.

طلابه:

مما نفهمه من سيرته رحمه الله تعالى نجد أنه كان مكثر من السفر والتنقل في البلاد، ومما لا شك في أنه كان رحمه الله تعالى في كل بلد له طلاب، وهؤلاء الطلاب نبغوا في علومهم وأصبحوا مراجع بلادهم، إذ إنهم حملوا العلم عن فحل من فحول العلماء والأدباء والأتقياء والأجلاء، فنذكر منهم على سبيل المثال لا على الحصر:

- العلَّامة المجتهد أحمد بن الصِّدِّيق الغماري الإدريسي الحسني المغربي.
- العلاَّمة السّيد عبد الله بن الصِّدِّيق الغمـاريّ الإدريسي الحسني المغربي.
- العلَّامة السّيد الشّريف عبد العزيز بن الصِّدِّيق الغماري الإدريسي الحسني المغربي.
- العلَّامة الشيخ محمَّد راغب بن محمود الطبَّاخ الحلبي.
- العلَّامة الشيخ محمَّد العربي بن التَّبَّاني الجزائري المكِّي.
- العلَّامة الشيخ حسن بن سعيد يماني المكِّي المعروف بالشافعي الصغير.
- العلامة الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الحمصي.
- العلامة الشيخ علي الأنسي البيروتي وهو من آخر من أخذ عنه.

مسيرة العطاء:

أتم الشيخ الدراسة في الجامع الأزهر، ثم عاد بعد تلك المدة التي قضاها في الأزهر إلى فلسطين سنة 1289 هجري الموافق له 1872 رومي، حيث أقام في مدينة عكا مدرساً للدين وعلوم العربية، تولى العديد من الوظائف والمناصب غير التدريس، فقد تولى نيابة القضاء في جنين سنة 1290 هجري الموافق له 1873 رومي، ثم توجه إلى دار الخلافة في الأستانة سنة 1293 هجري الموافق له 1876 رومي، وظل فيها مدة سنتين ونصف، حيث

عمل محرراً في جريدة الجوانب، ثم عين قاضياً في ولاية الموصل من أمهات بلاد الأكراد، لمدة خمسة أشهر، ثم فارقها سنة 1296 هجري إلى الشام، ثم توجه إلى دار الخلافة في الأستانة سنة 1297 هجري، وأقام فيها نحو عامين، ثم توجه إلى اللاذقية وعمل رئيساً لمحكمة الجزاء سنة 1300 هجري الموافق له 1883 رومي، فأقام بها نحو خمسة أعوام.

تولى بعد ذلك رئاسة محكمة الجزاء في القدس، وظل بها أقل من سنة، حيث غادرها رئيساً لمحكمة الحقوق في بيروت التي وصلها سنة 1305 هجري، وبقي فيها ما يقرب من عشرين عاماً، وألف فيها سائر كتبه، وطبع أكثرها، ثم غادرها إلى المدينة المنورة مجاوراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وظل بها حتى إعلان الحرب العالمية الأولى سنة 1331 هجري الموافق له 1914 رومي، حيث عاد إلى قريته إجزم.

التصوف في حياته:

يعد من الصوفية البارزين في العصر الحديث، يشهد على ذلك كتبه الحافلة بآداب الصوفية وسيرهم وأخلاقهم، وحب الصالحين، والإكثار من ذكرهم، وأخذ العديد من الطرق الصوفية على يد العديد من المشايخ، من بين ذلك:

1. الطريقة الإدريسية: أخذها عن الشيخ إسماعيل النواب.
2. الطريقة الشاذلية: أخذها عن محمد بن مسعود الفاسي، وعلي نور الدين اليشرطي.

3. الطريقة النقشبندية: أخذها عن إمداد الله الفاروقي، وغياث الدين الإربلي.

4. الطريقة القادرية: أخذها عن حسن بن أبي حلاوة الغزي.

5. الطريقة الرفاعية: أخذها عن عبد القادر بن أبي رباح الدجاني اليافي.

6. الطريقة الخلوتية: أخذها عن حسن رضوان الصعيدي.

مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات عديدة في شتى المجالات، نذكر منها على سبيل المثال:

1. إتحاف المسلم بإتحاف الترهيب والترغيب من البخاري ومسلم.
2. الأحاديث الأربعين في أمثال أفصح العالمين.
3. الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين.
4. أحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين.
5. إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى.
6. الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة.
7. الأسمى فيما لسيدنا محمد من الأسما.
8. أفضل الصلوات على سيد السادات.
9. الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى.
10. جامع كرامات الأولياء مجلدان.
11. جواهر البحار في فضائل النبي المختار، أربعة أجزاء.

12. حزب الاستغاثات بسيد السادات.
13. حسن الشِّرعة في مشروعية صلاة الظهر إذا تعددت الجمعة.
14. السابقات الجياد في مدح سيد العباد.
15. سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين.
16. الشرف المؤبد لآل محمد وهو كتابنا هذا.
17. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق.
18. القصيدة الرائية الصغرى في ذم البدعة (الوهابية) ومدح السنة الغراء.
19. القصيدة الرائية الكبرى في الكمالات الإلهية والسيرة النبوية ووصف الملة الإسلامية والملل الأخرى.
20. القول الحق في مدائح خير الخلق.
21. كتاب الأربعين، أربعين من أحاديث سيد المرسلين.
22. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية أربعة أجزاء.
23. النظم البديع في مولد الشفيع.
24. هادي المريد إلى طرق الأسانيد، وهو ثبتُه.
25. طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.
26. وسائل الوصول إلى شمائل الرسول.

مكانته عند العلماء:

قال البيطار صاحب حلية البشر: "هذا الإمام، والشهم الأديب الهمام، قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم الزواهر، وسعدت مطالع شمائله بآدابه المعجبة البواهر، فهو الألمعى المشهود له بقوة الإدراك، واللوذعى المستوى مقامه على ذروة الأفلاك، وله ذكاء أحد من السيف إذا تجرد من قرابه، وفكر إذا أراد البحر أن يحكيه وقع في اضطرابه، ونثر يزرى بالعقد الثمين والدر المنثور، وشعر يدل على كمال الإدراك وتمام الشعور، فهو فارس ميدان اليراع والصفاح، وصاحب الرماح الخطية والأقلام الفصاح، فلعمرى لقد أصبح في الفضل وحيداً، ولم تجد عنه النباهة محيصاً ولا محيداً، وناهيك بمحاسن قلدها، ومناقب أثبتها وخلدها، إذا تليت في المجامع، اهتزت لها الأعطاف وتشنفت المسامع".

وقد أثنى عليه مجموعة من أكابر علماء عصره، وقرظوا كتابه "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق"، ووافقوه على ما كتبه من الآراء، ومن هؤلاء:

- الشيخ على محمد الببلاوي المالكي شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة 1323 هجري.

- مفتى الديار المصرية الشيخ عبد القادر الرافعي شيخ السادة الحنفية المشهور بأبي حنيفة الصغير المتوفى سنة 1323 هجري.

- الشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي شيخ الجامع الأزهر المتوفى

سنة 1326 هجري.

- مفتى الديار المصرية الشيخ بكرى محمد عاشور الصدفي شيخ الحنفية.

- الحافظ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني المغربي المتوفى سنة 1382 هجري.

- الفقيه أحمد بك الحسينى الشافعي المتوفى سنة 1332 هجري.

- شيخ السادة الشافعية سليمان العبد.

- الشيخ أحمد حسنين البولاقي الشافعي.

- الشيخ أحمد البسيونى شيخ السادة الحنابلة.

- الشيخ سعيد الموجي الشافعي.

- الشيخ محمد الحلبي الشافعي.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى في بلدته إجْزِم سنة 1350 هجري الموافق له 1932 رومي، رحمه الله رحمة واسعة، وألحقنا به في الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ آمين يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلِّ اللَّهُمَّ على سيدنا ومولانا محمَّد

وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

قال المؤلف رحمه الله:

آل طـــــــه يــــــا آل خــــــير نــــــبي
جـــــدكم خـــــيرة وأنــــــتم خيــــــار

أذهـــــب الله عـــــنكم الــــرجس أهــــل ال
بيــــــت قــــــدما فــــــأنتم الأطهــــــار

لــــم يســــل جــــدكم على الديــــن أجــــرا
غـــــير ود القــــــربى ونعـــــم الإجــــار

حــــبكم جنـــــة لـــــكل فــــؤاد فيــــه
حــــب الأصــــحاب والبغــــض نــــار

رضي الله عــــــنكم وأنــــــتم النــــــور
فــــــــيكم وإن أبي الكفــــــــار

المقدمة

بسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

الحمد لله الذي طَهَّرَ أهل بيت نَبِيِّنَا من كلِّ رِجْس وآتاهم من لدنه فضلاً كبيراً، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أفضل قبيلة وأكرم فصيلة، وعلى آله الأشراف السادة وأصحابه الأئمة القادة، أما بعد،،،

فيقول الفقير يوسف بن إسماعيل النبهاني عفا الله عنه: إنَّ من أهم الأمور الدينية وآكد العقائد الإسلامية اعتقاد أنَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من كل مَلَكٍ ورسول، وأصوله وفروعه أشرف فروع[2] وأصول، كيف لا وقد اتصلت بنسبه أنسابهم، وارتبطت بحسبه أحسابهم، فهم منه وإليه وأقرب الناس لديه، ولا ريب في أن محبته صلى الله عليه وآله وسلم فرض على كل موحد، مجتهد ومقلد، وبحسب زيادتها ونقصانها تكون زيادة الإيمان ونقصانه، ومن ادَّعى الإيمان بدونها فقد عَظُمَ نفاقه وبهتانه.

ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة من اتصلوا به، ورجعت أنسابهم

1- الأحزاب آية 33.

2- الأصل أن تقدم الآباء على الأبناء، ولكن كون التفضيل شرعي فيقدم الأبناء على الآباء، لأن المقدم هوالشرع وليس العرف والعادة والعقل. ا.هـ.

كآبائه وأبنائه إلى نسبه، أما آباؤه فقد انقضت أعصارهم، وبقيت أخبارهم، فَمَنِ ادَّعى محبتهم لأجله فلا تثريب عليه، وتسلم دعواه إليه، إذ لا دليل على بطلان دعواه، ويوكل أمر باطنه إلى الله، وأما أبناؤه فهم بركة هذه الأمة، الكاشفون عنها من غياهب الكون كل غُمَّة، فلا بدَّ وأن يوجد في كل عصر طائفة منهم يدفع الله بها عن الناس البلاء، فإنَّهم أمان لأهل الأرض كما أنَّ النُّجوم أمان لأهل السماء"[1]، فَمَنْ عاصرهم وادَّعى محبتهم بزخارف أقواله ولم يقم على دعواه البراهين من محاسن أفعاله فدعواه فاسدة باطلة، ومن حُلَى الصحة عاطلة، هذا إذا لم يؤذهم بقلم ولا لسان، ولم يشر إلى تنقيصهم بعين ولا بنان، أمَّا من فعل ذلك وادعى محبتهم فلا أحسبه إلا مجنوناً، وبدينه مفتوناً.

ومن هذا القبيل ما وقع في عصرنا في القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية من قوم جهال، غرقوا من أحوال البغضاء لآل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أوحال، فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والأخبار في فضل أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحى، ومنبع الحكمة، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة، وآرائهم الذميمة، ومع ذلك فقد زعموا أنهم لأهل البيت من أهل المحبة والوداد، ولم يعلموا أنهم هائمون من الخذلان في كل واد، ولما أراد الله

1- رواه الحاكم والطبراني بمعنى هذا اللفظ.

سبحانه تمام غوايتهم قدر لهم الاطلاع على كتاب نوادر الأصول للحكيم الترمذي وقد أتى فيه رضي الله عنه بتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾"1"، وقوله عليه الصلاة والسلام: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي)"2" الحديث، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض)"3" بأقاويل ظاهرها مخالف لما عليه جمهور العلماء، فزعم أنَّ الآية الكريمة خاصة بالزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين، وشَنَّعَ على مَنْ ذهب إلى غير ذلك من المفسرين، وأغرب من هذا دعواه في الحديث الأول حديث الثقلين أنَّ المراد من أهل البيت فيه الأئمة، وفقهاء الأمة، ومثله غرابة أو أغرب زعمه في الحديث الثاني أنَّ أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم فيه هم الأبدال لا الذرية، ومنع أن تكون في العنصر الطاهر هذه المزية، وإنِّي على يقين مِنْ أنَّه رحمه الله على تقدير ثبوت ذلك عنه، وتحقق صدوره منه، مع استبعاد صحة نسبته إليه وقرب احتمال دَسِّه عليه، لم يقصد به إلا إحقاق الحق على وجه السداد،

1- الأحزاب آية 33.

2- رواه الحاكم والبزار عن زيد بن أرقم.

3- رواه الحاكم عن سيدنا جابر رضي الله عنه: (النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون وأنا أمان لأصحابي ما كنت فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون) .

بحسب ما أداه إليه الاجتهاد وأرجو أن لا يلحقه بذلك عتاب، وأن لا يفوته على نيته الثواب، فإنَّه نفعنا الله به من مشاهير الأئمة ومصابيح هذه الأمة، ولعله كان فيما أتى به معذورًا، وقد كان ذلك في الكتاب مسطورًا.

وعلى كل الحال فقد تمَّ العمل، وسبق السيف العذل، فأخذ أولئك المخذولون عبارته رحمه الله وصاروا يروجون بها بضاعتهم الكاسدة، ويصلحون بها عقائدهم الفاسدة، ويتمشدقون بها في مجالس إخوانهم العوام، ويفهمونهم أن لا فرق بين العترة الطاهرة وبين أحد من أهل الإسلام، فلمَّا شاع أمرهم المذموم، وفشا سر ضلالتهم المكتوم، حملني على تزييف مدعاهم الباطل الفاسد، وهدم ما استندوا إليه من واهيات القواعد، أمر شريف صدر من أحد أجلاء العصابة المصطفوية، وافق مني بواعث قلبية، ومدعاهم وإن كان بديهي البطلان، لا يرتاب فيه أحد ممن شمَّ رائحة الإيمان، وقد يقال: لا حاجة إلى إبطال الباطل وما هو إلا من قبيل تحصيل الحاصل، فهو منكر وإنكار المنكر أمر واجب، وإماطة البدعة عن المسلمين ضربة لازب.

فجمعت هذا الكتاب من كتب الأئمة الأعلام، ونقلت فيه أنموذجاً من الكتاب والسنة والآثار في فضل آله عليه الصلاة والسلام، ولم أقصره على رد تلك الأقاويل الفاسدة لتتم به الفائدة **وسميته: الشرف المؤبد لآل محمد**

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم، أن ينفعني به والمسلمين، ويحشرني تحت لواء سيد المرسلين في زمرة المحبين له ولآله الطاهرين، وأرجو من أهل العلم والفهم أن يعذروني في عدم استيفاء الكلام، ويغتفروا لي زلة القلم إن عثروا عليها فَقَلَّمَا سَلِمَ أحد من زلة الأقلام، ورتبته على ثلاثة مقاصد وخاتمة.

المقصد الأول: وهو الحامل على جمع الكتاب في الكلام على آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾، وحديثَيْ (إني تارك فيكم الثقلين...)، (وأهل بيتي أمان لأمتي) .

المقصد الثاني: في الكلام على شرفهم ومزاياهم وما اختصهم الله به دون من عداهم.

المقصد الثالث: في الكلام على ما في حبهم وتوابعه من الفوز العظيم، وما في بغضهم وتوابعه من المرتع الوخيم.

الخاتمة: في بيان فضل الصحابة وأنَّ محبة آل البيت لا تُجْدِي نفعاً إذا خالطها بغض أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المقصد الأول

وهو الحامل على جمع الكتاب في الكلام على آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ وحديثَيْ: (إني تارك فيكم الثقلين...)، (وأهل بيتي أمان لأمتي) .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾"[1]" .

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره "يقول الله تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ السوء والفحشاء يا أهل محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيراً""[2]" .

ورُوِيَ عن أبي زيد أنَّ الرجس ههنا الشيطان.

وذكر أي الطبري بسنده إلى سعيد بن قتادة أنه قال قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخَصَّهم برحمة منه.

وقال ابن عطية: "والرجس اسم يقع على الإثم والعذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت".

وقال الإمام النووي: "قيل هو الشك، وقيل العذاب، وقيل الإثم".

قال الأزهري: "الرجس اسم لكل مستقذر من عملٍ وغيره".

1- الأحزاب آية 33.

2- قول الإمام الطبري هذا تفسير لمعنى الآية.

واختلف المفسرون في أهل البيت في هذه الآية، فذهبت طائفة منهم أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة، وغيرهم كما نقله الإمام البغوي وابن الخازن وكثير من المفسرين إلى أنهم هنا أهل العباء وهم: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

وذهب جماعة منهم ابن عباس وعكرمة إلى أنهم أزواجه الطاهرات صلى الله عليه وآله وسلم، قال هؤلاء الآيات كلها من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ... إلى قوله... إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾"[1]" منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلام لغيرهنَّ وأجاب عن هذا القائلون بأن المراد أهل العباء بأنَّ الكلام العربي يدخله الاستطراد والاعتراض وهو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾"[2]"، فقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ جملة معترضة من جهة الله بين كلام بلقيس.

وقوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾"[3]"، أي: فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن وما بينهما

1- الأحزاب آية 28- 34.

2- النمل آية 34-35.

3- الواقعة آية 75.

اعتراض على اعتراض وهو كثير في القرآن وغيره من كلام العرب.

وقد ثبت من طرق عديدة صحيحة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء ومعه عليّ وفاطمة وحسن وحسين، قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحُسيناً كل واحد على فخذه ثم لَفَّ عليهما كساء ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾"[1]"، وفي رواية: (اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) ، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال: (إنَّك من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خير)"[2]".

وروى أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أُنْزِلَتِ هذه الآية في خمسة، فيَّ وفي عليٍّ وحسن وحسين وفاطمة).

وروى من طرق عديدة حسنة وصحيحة عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بعد نزول هذه الآية يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: (الصلاة أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

1- الأحزاب آية 33.

2- رواه أحمد والحاكم والترمذي والنسائي والطبراني وغيرهم.

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)"[1].

وعن أبي سعيد الخدري أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم جاء أربعين صباحاً يعني بعد نزول هذه الآية إلى باب فاطمة يقول: (السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)"[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما (سبعة أشهر) وفي رواية (ثمانية أشهر)"[3]، وهذا نصٌّ منه صلى الله عليه وآله وسلم على أن المراد من أهل البيت في هذه الآية هم الخمسة.

قالوا ولو كان المراد الزوجات الطاهرات لما قال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ بضمير جمع الذكور، بل كان اللازم أن يقال ليذهب عنكن ويطهركن، فأجابوا عن هذا بأن التذكير هنا باعتبار لفظ الأهل فإن لفظه مذكر ولهذا قال عَنْكُمُ وَيُطَهِّرَكُمْ.

والجمهور على أن المراد من أهل البيت في الآية ما يشمل الفريقين معاً عملاً بجميع الأدلة، قال المقريزي: ومن حُجَّة الجمهور قوله: عنكم ويطهركم بالميم.

ولو كان المراد النساء خاصة لكان عنكن ويطهركن، وقال ابن عطية: والذي يظهر لي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة فأهل البيت زوجاته

1- رواه أحمد والحاكم والترمذي.

2- رواه الطبراني

3- ذكر ذلك ابن أبي شيبة في مسنده وذكر الطحاوي في مشكل الآثار تسعة أشهر.

وبنته وبنوها وزوجها.

وقال النَّسفي: وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته وقال: ﴿عَنْكُمُ﴾ لأنه أراد الرجال والنساء من آله بدلالة ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وعليه الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود، وهو كذلك في معالم التنزيل للإمام البغوي وفي الرواية التي ذكرها عن أم سلمة رضي الله عنها فقلت: ألست منهم يا رسول الله ؟ قال: (بلى).

وقال الفخر الرازي بعد كلام: "ثمَّ إن الله ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم، واختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه، والحسن والحسين منهم وعليّ منهم، لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وملازمته له"ا.هـ.

وذكر ابن جرير في تفسيره خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في أنَّ أهل البيت في الآية، هم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين، ثم أعقبها برواية واحدة في أنّ المراد زوجاته الطاهرات صلى الله عليه وآله وسلم.

ورأيت الإمام الجليل خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور قد صدر الكلام عند تفسير هذه الآية بثلاث روايات في أنَّ أهل البيت فيها هم أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأعقبها بعشرين رواية من طرق مختلفة، في أن المراد منهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ

وفاطمة والحسن والحسين.

منها ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردوية عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها على مقامة له، عليه كِسَاءٌ خَيْبَرِيٌّ فَجاءت فَاطِمَةُ ببرمة فيها خَزيرَة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم (ادْعِي زَوْجَكِ وَابْنَكِ حسناً وحسيناً) فَدَعَتْهُمْ، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بفضلة فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَتِي)، وفي رواية: (وخاصتي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا)، قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة رضي الله عنها فأدخلت رأسي في الستر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم، فقال: (إنك إلى خير مرتين)" .

ومنها ما أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (خرج النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مِرْطٌ مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه ثم جاء عليٌّ فأدخله معهم، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾).

ومنها ما أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع قال: "جاء رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إلى فاطمة ومعه عليٌّ وحسن وحسين، حتى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لفَّ عليهم ثوبه ثمّ تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقال: (اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي، اللَّهُمَّ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، قُلتُ: يا رسول اللّه وأنا من أَهلكَ؟ قَالَ: (وأنت من أَهلِي) قَالَ وَاثِلَةُ: إِنَّهُ لأَرْجَى مَا أَرْجُو".

وذكر الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول الخلاف، وذكر في كل روايتين غير أنه صدر الكلام بقوله عن عطية عن أبي سعيد: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرً﴾"[1]، نزلت في خمسة: في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وثنى بقوله عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثني مَنْ سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر وسرد الرواية التي تقدمت عن الدر المنثور ثم ذكر الروايتين الأخريين في أنها نزلت في الزوجات الطاهرات رضي الله عنهم، وجعل في تفسيره الآية شاملة للفريقين جمعاً بين الروايات وكذا النيسابوري ذكر في

1- الأحزاب آية 33.

تفسيره شمولها للفريقين، وذكر في كل روايات غير أنَّ في روايته عن أم سلمة فقلت: "وأنا منهم؟" فقال: (نعم)

ثم قال: قال مقاتل: أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم داخلات في حكم هذه الآية، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث في موضع غلب المذكر على المؤنث ولهذا قال: عنكم ويطهركم.

وقال المقريزي: والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّاً وحسناً وحسيناً كانوا داخلين فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقتضت الآية أنَّ الزوجات من أهل البيت يدل عليه سياق الكلام.

ثم قال ويروى حديث أم سلمة رضي الله عنها: "أدخلت رأسي في الكساء وقلت: وأنا منهم؟" فقال: (نعم).

وقال المحقق ابن حجر في الصواعق: "إنَّ المراد بالبيت في الآية ما يشمل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيت سكناه فتشمل الآية أزواجه عليه الصلاة والسلام".

وقال الثعلبي: "قيل هم بنو هاشم، فهذا على أنَّ البيت يراد به بيت النسب، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم، وهو قول زيد بن أرقم كما في الخازن وغيره".

وأعم من هذا ما ذكره العلامة الخطيب في تفسيره فقال: "واختلف في

أهل البيت والأولى فيهم ما قاله البقاعي: "إنَّهم كل من يكون من ألزام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب، وكلما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر"ا.هـ.

إذا علمت هذا تعلم أنَّ مذهب جمهور المفسرين شمول الآية للفريقين أهل العباء وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين.

عبارة الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي في الفتوحات المكية في تطهير الله له صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته

وقال شيخ الصوفية وإمام العارفين الشيخ الأكبر سيدى محي الدين بن العربي رضي الله عنه في الباب التاسع والعشرين من الفتوحات المكية: "ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبداً محضاً قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس، وهو كل ما يشينهم، فإنَّ الرجس هو القذر عند العرب هكذا حكى الفراء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]"، فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولابد فإنَّ المضاف إليهم هو الذي يشبههم، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس، فهذه شهادة من النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة،

1- الأحزاب آية 33.

حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (سلمان منا أهل البيت)"[1]"، وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مطهر مقدس، وحصلت له العناية الربانية الإلهية بمجرد الإضافة، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم، فهم المطهرون، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية تدل على أن الله تعالى قد شرك أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾"[2]"، وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ، فطهر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا، ولو وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى، لأن الذنب لا يلحق به على ذلك من الله ولا منا شرعاً، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة ولم يكن يصدق قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم رضي الله عنهم ومن هو من أهل البيت، مثل سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله وعناية بهم، لشرف سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعناية الله به، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت

1- رواه الحاكم والطبراني.

2- الفتح آية 2.

إلا في الدار الآخرة، فأنهم يحشرون مغفوراً لهم، وأما في الدنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره، وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة كماعز وأمثاله ولا يجوز ذمه، وينبغي لكل مسلم مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله في قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله تعالى قد عفا عنهم فيه، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم، لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه، بل بسابق عناية من الله بهم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾"[1]، وإذا صحَّ الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة، فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع وتلحق المذمة بعامله، لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنص" انتهى كلام الشيخ الأكبر.

فقد صرح كما ترى وهو إمام الصوفية، وكفى به حجة بدخول الشرفاء أولاد فاطمة كلهم رضي الله عنهم، ومواليهم كسلمان الفارسي رضي الله عنه إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله وعناية بهم لشرف سيدنا محمد صلى الله عليه وآله

1- سورة الجمعة آية 4.

وسلم وعناية الله به.

ولا تلتفت بعد ما سردته عليك من كلام الأئمة الأعلام إلى ظاهر ما قاله الترمذي الحكيم رضي الله عنه في نوادر الأصول وتمسك به بعض الجهلة المخذولين، من عدم شمول الآية لأهل العباء، وهذه عبارته بعد كلام شنع فيه على الطائفة الزائفة المفتونة، وأحسبه عنى بها الغلاة من الشيعة، قال: وتأولوا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إنّما هم عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، وهي لهم خاصة وكيف يجوز هذا ومبتدأ هذا الخطاب قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثم قال: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ثم قال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وهذا كلام منسوق أثره على أثر بعض، فكيف صارت هذه المخاطبات كلها لنساء النبي عليه الصلاة والسلام قبلاً وبعداً، وينصرف في الوسط لغيرهن وهو على نسق ونظام واحد، لأنه قال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ثم قال على أثره ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾[1] فكيف صار الكاف الثاني خطاباً للنساء والأول لعليّ وفاطمة رضي الله عنهما، وأين ذكرهما في هذه الآيات؟ فإن قال إن كان الخطاب لنسائه فكيف قال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ﴾ ولم يقل عنكن؟.

1- الأحزاب آية 28-34.

قلنا: "إنما ذكره لأنه ينصرف إلى الأهل والأهل مذكر فسماهن باسم التذكير وإن كن إناثاً، وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزلت هذه الآية دخل عليه عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم، فعمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكساء فلَفَّها عليهم ثمَّ ألوى بيده إلى السماء فقال: (هؤلاء أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)"[1]، فهذه دعوة منه لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج رضوان الله عليهم أجمعين" انتهى.

أقول: أن كلامه رضي الله عنه غير مسلم، ليس من حيث قصره أهل البيت في الآية على الزوجات الطاهرات، فإن له في ذلك شركاء من الأئمة وإن قلوا كما علمت، ولكن من حيث تشنيعه على القائلين باختصاص فاطمة وزوجها وابنيها بهذه الآية بعباراته الشديدة، فإن كان مراده بهم غلاة الشيعة وهو الظاهر من الأوصاف الذميمة التي وصفهم بها ويقتضيه حسن الظن به فلا بأس، غير أن نسبة هذا القول إليهم خاصة غير صواب، فقد تقدم أنه قال به أبو سعيد الخدري من الصحابة وجماعة من التابعين، منهم قتادة ومجاهد الذي قال فيه الإمام الشافعيّ رضي الله عنه: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وإذا تأملت في عبارته رحمه الله ظهر لك منها أنه حنق أيضاً على القائلين بشمول الآية لأهل العباء

1- رواه أحمد.

والزوجات الطاهرات معا، وقد علمت مما تقدم أن هذا مذهب جمهور المفسرين من أهل السنة والجماعة، وقد ظهر لذهني الفاتر تعليل وجيه لشمول الآية للفريقين، وهو إني نظرت إلى سابق هذه الآية ولاحقها من قوله تعالى: ﴿قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾"[1]".

فوجدت ضمير جمع النسوة مذكوراً في اثنين وعشرين موضعاً عشرين قبلها واثنين بعدها، ولم يأتي ضمير جمع الذكور إلا في عنكم ويطهركم، فلو كان المراد أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لكان إتباع هذين الضميرين للاثنين وعشرين ضميراً أولى وأحرى ليكون الكلام على نسق واحد فلم تحصل المخالفة فيهما إلا لمخالفة المراد منهما للمراد مما قبلهما وبعدهما ويكون ذلك بشمولهما مع الزوجات الطاهرات ما أفصح الحديث بدخولهم وهم أهل العباء.

وأما تذكير لفظ الأهل فغاية ما يقتضيه جواز تذكير الضمير باعتباره كما يجوز تأنيثه أيضاً باعتبار المعنى، ويرجح جانب المعنى هنا إحاطة ضمائر النسوة بهذين الضميرين من كلتا جهتيهما، فإذن لم يعدل عن التأنيث للتذكير فيهما إلا لأمر آخر وهو دخول أهل العباء في الخطاب، وفي الأهل بالمعنى الذي نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصّاً لا يقبل

1- الأحزاب آية 28-34.

التأويل في قوله: (اللّٰهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) .

وقد قال الحكيم في آخر عبارته السابقة بعد سرده الحديث الناصّ على دخولهم: "فهذه دعوة منه صلى الله عليه وآله وسلم لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج" انتهى.

وكيف يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخول قوم في آية من كتاب الله لم يدخلهم الله فيها؟

والذي يدل دلالة واضحة على أنَّ المراد من الآية أهل العباء مع الزوجات إن لم نقل وحدهم الرواية التي أخرجها عن أم سلمة رضي الله عنها ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردوية، وتقدمت عن الدر المنثور للحافظ السيوطي وهي: "أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها على مقامة له، عليه كِسَاءٌ خَيْبَرِيٌّ فَجاءت فَاطِمَةُ ببرمة فيها خَزِيرة فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: (ادْعِي زَوْجَكِ وَبْنيكِ حسناً وحسيناً) فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فأخذ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بفَضْلَة فغشَّاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثُمَّ قَالَ: (اللّٰهُمَّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي) ، وفي رواية: (وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي في الستر

فقلت: يا رسول الله وأنا معكم، فقال: (إنك إلى خير) مرتين"

فأنت ترى هذه الرواية صريحة في تخصيص الآية في أهل العباء، نعم ذكر الإمام البغوي في معالم التنزيل في الرواية عن أم سلمة: فقلت "ألستُ منهم يا رسول الله؟" قال: (بلى)، وذكر المقريزي رواية عنها: فقلت "وأنا منهم؟" فقال: (نعم) .

فهاتان الروايتان مع سابق الآية ولاحقها يدلان على دخول الزوجات الطاهرات في المراد منها، وحينئذ تكون شاملة للفريقين كما هو مذهب جمهور المفسرين، فقد تلخص أنَّ في المراد من أهل البيت في الآية خمسة أقوال:

أولها: قول الجمهور إنها شاملة للفريقين وهو الذي عليه الاعتماد.

الثاني: قول أبي سعيد الخدري من الصحابة وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة أن أهل البيت فيها هم أهل العباء خاصة.

الثالث: قول ابن عباس من الصحابة وعكرمة من التابعين أن المراد الزوجات الطاهرات.

الرابع: ما نقله ابن حجر في الصواعق عن الثعلبي من أنهم بنو هاشم، على أنَّ البيت يراد به بيت النسب، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم، قال في الخازن وهو قول زيد بن أرقم.

الخامس: ما نقله الخطيب الشربيني عن البقاعي قال: "وهو الأولى من أنهم كل من يكون من ألزام النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب، وكل ما كان الإنسان منهم أقرب وبالنّبي صلى الله عليه وآله وسلم أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر".

وحيث قد استوفينا الكلام وأشعبنا النُّقول على الآية بما لا مزيد عليه فلنشرع في الكلام عن الحديثين.

فصل
في الكلام على قوله صلى الله عليه وآله وسلم:
(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن يزيد بن حيان قال: "انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد أوتيت خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" فقال زيد: (قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيبه وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) فقال له حصينٌ: "ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته" قال: "نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده" قال: "ومن هم" قال: "هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس" قال: " كل هؤلاء حرم الصدقة" قال: "نعم" .

وفي رواية لمسلم أيضا: فقلنا: " من أهل بيته؟ " قال: "لا، وايم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها،

أهل بيته أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده" .

قال الإمام النووي في شرحه: "فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال: نساؤه لسن من أهل بيته، فتؤول الرواية الأولى على أنَّ المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم، وسماهم ثقلاً، ووعظ في حقوقهم وذكر، فنساؤه داخلات في هذا كله ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة، فاتفقت الروايتان"ا.هـ.

وفيه قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما، وفي النهاية لابن الأثير يقال لكل خطير نفيس ثقل فسَمَّاهُما ثقلين إعظاماً لِقَدْرِهما وتَفْخيماً لشَأنِهما، وفي القاموس: الثقل محركة كل شيء مصون نفيس ومنه الحديث: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)"[1]، قال الصبان في إسعاف الراغبين: ومعنى أذكركم الله في أهل بيتي، أحذركم الله في شأن أهل بيتي، وقال ابن علان في شرح رياض الصالحين: "وفي تكريره تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم، فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث".

وفي الاسعاف: "ولفظ رواية الإمام أحمد: (إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض

1- رواه الطبراني.

وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة، فانظروا فيما تخلفوني فيهما)، وقوله حبل ممدود: المراد منه عهد الله أو السبب الموصل إلى رحمته ورضاه قاله النووي، ورواية جابر رضي الله عنه: (أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي).

وقد قصر الترمذي الحكيم في (نوادر الأصول) العترة أهل البيت في الحديث على أئمتهم وأطال في ذلك وهذه عبارته: "قال الأصل الخمسون في الاعتصام بالكتاب والعترة، وبيانها عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء، يخطب فسمعته يقول أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)"[1]، وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع خطب فقال: (أيها الناس: إنه قد نبَّأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي يليه من قبل وإني أظن أن يوشك أن أدعى فأجيب، وإنِّي فرطكم على الحوض وإنِّي سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا فلا تضلوا ولا

1- رواه الترمذي والطبراني.

تبدلوا، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإني قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)"[1]، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه دعاهم ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فذريتهم منهم، فهم صفوة وليسوا بأهل عصمة، إنما العصمة للنبيين عليهم الصلاة والسلام والمحنة لمن دونهم، وإنما يمتحن من كانت الأمور محجوبة عنه، فأما من صارت الأمور له معاينة ومشاهدة فقد ارتفع عن المحنة، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا) واقع على الأئمة منهم السادة لا على غيرهم، وليس المسيء المخلط قدوة وكائن فيهم المخلطون والمسيؤون لأنهم لم يعروا من شهوات الآدميين ولا عصموا عصمة النبيين، وكذلك كتاب الله من قبل مأمنه ناسخ ومنسوخ، فكما ارتفع الحكم بالمنسوخ منه كذلك ارتفعت القدوة بالمخذولين منهم، وإنّما يلزمنا الاقتداء بالفقهاء العلماء منهم بالفقه والعلم الذي ضمن الله تعالى بين أحشائهم لا بالأصل والعنصر، فإذا كان هذا العلم والفقه موجوداً في غير عنصرهم لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء، وقد قال تعالى في تنزيله الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

1- رواه الطبراني.

الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾"[1] فإنّما يلي الأمر منَّا من فهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يهم الحاجة إليه من العلم في أمر شريعته، وإنّما أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما نرى إليهم لأن العنصر إذا طاب كان معيناً لهم على فهم ما يحتاج إليه، وطيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق، ومحاسن الأخلاق تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته، وإذا نزه القلب وصفاً كان النور أعظم وأشرق الصدر بنوره، فكان ذلك عوناً له على درك ما به الحاجة من شريعته" انتهت عبارته بحروفها.

قلت قوله: "واقع على الأئمة منهم السادة" غير مُسَلَّم، وإنما هو واقع على عامة أهل البيت وخاصتهم مسيئهم ومحسنهم، إمامهم ومأمومهم.

إذ ليس معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض) ملازمتهم لكتاب الله من حيث العمل بجميع أحكامه حتى يرد قوله: "وكائن فيهم المخلطون والمسيئون... الخ".

بل هو تحريض على إكرامهم وتبشير لهم بأنهم لا يفارقون دين الإسلام حتى يدخلوا الجنة بسلام، ويكفي هذا في معنى عدم تفرقهم من كتاب الله إلى ورود الحوض، ويدل لملازمتهم دين الإسلام من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا﴾

1- النساء آية 59.

وقد علمت مما تقدم أنَّ الرجس شامل لجميع الذنوب والنقائص التي أقبحها الكفر، فهم قوم مطهرون من قبل الله، فلا يتطرأ إليهم في دينهم خلل ولا يقع في عقائدهم زيغ ولا زلل.

فإن قلت: دليلك هذا غير مقبول عند الحكيم فإنَّ رأيه تخصيص الآية بأزواجه صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم.

قلت: نعم وهو وإن رأى ذلك إلا أنَّه هنا وفيما تقدم أثبت أنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين وتلا هذه الآية وزاد هنا قوله: فذريتهم منهم فهم صفوة، وقال هناك هذه دعوة منه صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم فيها، فهو لا بد وأن يعتقد أن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم استجيبت فيهم، وإذا كان كذلك فهم على كل حال داخلون في حكم الآية أولاً وبالذات كما هو رأي الجمهور أو آخراً وبالعرض على رأيه، فقد ثبت عدم تفرقهم من كتاب الله بعدم انحرافهم عن دين الإسلام إلى ورود الحوض، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضي﴾"[1]، نقل القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية أنه قال: "رضا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار".

وأدلة ذلك من السنّة كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن

1- الضحى آية 5.

فاطمة قد أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار) ، قال الحاكم: حديث صحيح.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطانيها)"[1]"، وسيأتي في المقصد الثاني زيادة تفصيل في هذا المعنى.

وأذكر هنا دليلا لطيفاً ظهر لي من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)"[2]".

فإنَّه يتضمن عصمة أهل بيت النبوة من الكفر، إذ لو جاز عليهم لما ساغ له صلى الله عليه وآله وسلم هذا الاستثناء، فإن الكفر أكبر قاطع للسبب والنسب، فاتصال نسبهم يوم القيامة به عليه الصلاة والسلام حجة على عدم مفارقتهم الدين بيقين.

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)"[3]"، فالأخذ بكل منهما بما يناسبه، فالأخذ بكتاب الله التمسك به بالعمل بأحكامه وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والأخذ بالعترة أهل البيت التمسك بما يقتضيه حقهم من المحبة

1- ذكره ابن بشران في أماليه عن عمران بن حصين رضي الله عنه وذكره السيوطي في الحاوي للفتاوي وعزاه للمحب الطبري في ذخائر العقبى.

2- رواه الطبراني.

3- رواه الترمذي والنسائي والطبراني.

والعناية والتبجيل والإعظام والإعزاز والإكرام، فهو شامل لهم جميعاً محسنهم ومسيئهم، وحينئذ يسقط ما أورده الحكيم بناء على ما فهمه في الحديث، وبنى على ذلك تخصيصه بالأئمة منهم ويشهد لذلك الروايات الأخر، كرواية زيد بن أرقم رضي الله عنه السابقة: (وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحثَّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي).

فأنت تراه صلى الله عليه وآله وسلم خصَّ الأخذ والاستمساك من حيث الهداية بكتاب الله، وذكر حكمة ذلك بقوله: (فيه الهدى والنور)، ثم بعد أن تمَّ معنى الأخذ والاستمساك ذكر أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (أذكركم الله في أهل بيتي)، وكرره تأكيداً للوصاية بهم والعناية بشأنهم ولم يخص منهم أحد دون أحد، وانظر إلى قول زيد لما سأله الحصين عن أهل البيت من هم؟ أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده، تجده نصاً في المقصود، وكرواية زيد فيما قلناه رواية حذيفة بن أسيد التي ذكرها الحكيم فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال فيها: (وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر، كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا فلا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإني قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)

فقوله عليه الصلاة والسلام: (فاستمسكوا فلا تضلوا ولا تبدلوا) بعد قوله: (الثقل الأكبر، كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله، وطرف بأيديكم) يوضح لك أنَّ الاستمساك للهداية وعدم الضلال إنَّما هو خاص بالثقل الأكبر كتاب الله، وبين سبب ذلك بقوله (سبب طرفه بيد الله، وطرف بأيديكم) وبعد تمام ما يتعلق بالثقل الأكبر قال صلى الله عليه وآله وسلم: (والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي).

ولو كان المراد الاستمساك بهما معاً للهداية كما فهمه الحكيم فأدخل قوماً من العترة الطاهرة وأخرج آخرين لوجب تأخير (فاستمسكوا فلا تضلوا) على قوله: (والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي) أو تكريره هناك أيضاً، فظهر أن عترته أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأحاديث كل من حرم عليه الصدقة أي الزكاة كما قال زيد بن أرقم رضي الله عنه، وقرنهم صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب الله تعظيماً لشأنهم وتأكيداً لطلب العناية بهم رضي الله عنهم أجمعين.

وأغرب ما في عبارة الحكيم قوله: فإذا كان هذا العلم والفقه موجوداً في غير عنصرهم لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء فقد جره الكلام إلى أن ساوى عترته صلى الله عليه وآله وسلم بغيرهم، إذ لم يجعل مزية لعنصرهم، وإنَّما جعل المزية للعلم والفقه الذي يوجد فيهم وفي غيرهم، فصار معنى العترة أهل البيت في هذه الأحاديث علماء الأمة وفقهاؤها، وهل كان هذا مراده صلى الله عليه وآله وسلم؟ لا والله، ما أراد إلا عترته الأقرباء جهالاً

وعلماء أتقياء وغير أتقياء.

أما فقهاء الإسلام والعلماء الأعلام، فهم قدوة الأمة، ومصابيح الظلمة، ولكن هذا غير ذاك، وهم نفسهم من الداخلين تحت الخطاب في هذه الأحاديث لرعاية عترته صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم شأنهم بوجه العموم، بل هم أحق بذلك من جميع الناس.

خطبته صلى الله عليه وآله وسلم التي أوصى فيها بالثقلين

تنبيه: خطب صلى الله عليه وآله وسلم خطبته هذه التي أوصى فيها بالثقلين: كتاب الله، وعترته أهل بيته في الملأ العظيم على رؤوس الأشهاد، عندما صدر من حجة الوداع، وكان قد خرج معه من المدينة لأدائها أكثر من مائة ألف غير من صحبوه من مكة ومن حضروا من اليمن، وهؤلاء هم معظم الأمة المحمدية إذ ذاك، وفيهم أجلاء الصحابة وعلماؤهم، وفقهاؤهم أبو بكر الصديق فمن دونه، ولا يشك أن كثيراً منهم أعلم وأفقه من كثير من العترة أهل البيت، فهل أحد من ذلك الجمع فهم أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أوصى أقرباءه وغيرهم في هذه الخطبة بتعظيم شأن العلماء، وأنَّ عترته أهل بيته هم أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وأُبَيّ ومعاذ وعبد الله بن سلام وأمثالهم من علماء المهاجرين والأنصار وغيرهم، أم فهموا أنَّه عليه الصلاة والسلام أوصى هؤلاء وغيرهم من العلماء وسائر الصحابة وجميع الأمة برعاية أقربائه والعناية

بشأنهم، وأنّ عترته أهل بيته هم هم لا غيرهم، إذ لا معنى للعترة وأهل البيت غير ذلك، وهل يقول بالأول أحد.

بقي شيء في دعوى الحكيم أن المراد من العترة الأئمة منهم لأنهم هم الذين يلزمنا الاقتداء بعلمهم وفقههم كما لو وجد العلم والفقه عند غيرهم لزمنا الاقتداء به كالاقتداء بهم، فالمعول عليه على رأيه هو العلم لا العنصر، وقد انقطع الاجتهاد منذ قرون لفقد شروطه.

وأهل السنة جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، مقتدون بهؤلاء الأئمة الأربعة رضي الله عنهم في الأحكام الفقهية وبالإمامين الأشعري والماتريدي في العقائد، وأهل البيت وإن كان قد ظهر منهم في الأعصر الأول كثير من الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب إلا أن مذاهبهم لم تدون ولم تشتهر، فانقرضت بانقراض أهلها، وما ينسبه إليهم بعض الفرق الضالة مما يخالف مذاهب أهل السنة باطل مكذوب عليهم، وعلى هذا لم يبقى لهم نصيب في هذه الأحاديث التي هم أصل موردها فقد خرجوا منها جملة واحدة وهو أمر ظاهر البطلان.

فإن قلت: لم يرد الحكيم المجتهدين منهم وإنّما أراد العلماء منهم وهم كثيرون في كل عصر.

قلت: الأوصاف التي ذكرها من كونهم أئمة قدوة لغيرهم بالفقه والعلم لا تصدق إلا على المجتهدين إذ هم الذين يجوز الاقتداء بهم في ذلك، والعلماء الذين وجدوا منهم في الأعصر الأخيرة هم مقلدون لأحد المذاهب

الأربعة فلا يكونون قدوة لغيرهم، وقوله: "وإنما أشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما نرى، أي في الظاهر لأنَّ العنصر إذا طاب كان معيناً لهم على فهم ما يحتاج إليه.. الخ" كلام نفيس غير أنه لا ينهض حجة لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياهم مريداً منهم علماء الأمة، فقد كان يمكنه صلى الله عليه وآله وسلم التصريح بأن يقول مثلاً إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعلماء أمتي ليفهمه السامع لا سيما في ذلك المجمع العظيم المشتمل على الفهيم وغير الفهيم.

استطراد: إذا تصفحنا أخبار علماء الأمة في بعض القرون السالفة نجد من كان منهم من الموالي والأعاجم أكثر عدداً ممن كانوا من قريش والعرب، والحكمة في ذلك والله أعلم أنَّ أولئك لما رأوا هؤلاء متقدمين عليهم في شرف الحسب والنسب أرادوا أن يلحقوهم فلم يجدوا وسيلة للحاق بهم غير العلم فجدوا فيه واجتهدوا حتى أدركوا منه بغيتهم، ووصلوا إلى غايتهم، ويزاد على ذلك أنَّ العرب كانوا يشتغلون بالعلم حتى إذا بلغوا منه مبلغاً وَلَّوْا الأعمال وتنافسوا فيها فلا يتمكنون من ملازمة القراءة والإقراء، وهذا أمر أغلبي وقع في بعض الأعصر، وإلا فأنت على علم من أنَّ الأربعة الأئمة الذين هم قدوة الأمة المحمدية عربيها وعجميها منذ زمنهم إلى الآن وإلى يوم القيامة ثلاثة منهم من العرب، مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم، وواحد من غيرهم وهو أبو حنيفة رضي الله عنه، وكيفما كان الأمر فهي أمة مرحومة معبودها واحد ونبيها واحد فمهما كان

من خير في عربها أو عجمها فهو واصل إلى الآخرين وأي بأس باختلاف الجنس إذا اتحد الدين.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم
(لوكان العلم بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس)

فائدة: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لوكان العلم بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس)"[1]، حمله بعضهم على الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه.

قال المناوي: "فيه فضيلة لهم وتنبيه على علو هممهم، قال في معجم البلد أن العرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا فارس، وإنَّما عني في الحديث أهل خراسان لأنك إذا طلبت مصداقه في فارس لم تجده لا أولاً ولا آخراً، وتجد هذه الصفة نفسها في أهل خراسان دخلوا في الإسلام رغبة ومنهم العلماء والنبلاء والمحدثون والمتعبدون، وإذا أحرزت المحدثين من كل بلد وجدت نصفهم من خراسان وجل رواة الرجال منها، وأما أهل فارس فكفار خمدوا ولم يبق لهم بقية بذكر ولا شرف"ا.هـ.

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو كان الإيمان عند الثريا) وفي رواية: (معلقاً بالثريا لتناوله رجال من فارس)"[2]، فهو محمول على سلمان الفارسي رضي الله عنه كما ذكره سيدى الشيخ الأكبر في الفتوحات وكثير من العلماء.

1- رواه أحمد.

2- متفق عليه.

فصل

في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أهل بيتي أمان لأمتي)[1]

قال الحكيم الترمذي رضي الله عنه في شرح هذا الحديث: "أهل بيته من خلفه من بعده على منهاجه، وهم الصديقون والأبدال الذين روى فيهم علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقى الغيث وينصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء)[2]، فهؤلاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمان هذه الأمة، فإذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا، ولا يجوز أن يحمل على أهل بيت النسب لمعان:

أحدها: أنه رُوِيَ في الحديث: (فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون)، فكيف يتصور أن يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد وهم أكثر من أن يحصى وبركة الله عليهم دائمة ورحمته مظلة من فوقهم؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام: (كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي)[3]

والثاني: أن أهل بيته نسبة بنو هاشم وبنو عبد المطلب، ولم يكونوا أماناً لهذه الأمة حتى إذا ذهبوا ذهبت الدنيا.

1- رواه الحاكم والطبراني.

2- رواه أحمد.

3- رواه الطبراني.

والثالث: أنه قد يوجد منهم الفساد كما يوجد في غيرهم، ومنهم المحسن ومنهم المسيء، فبأي شيء، صاروا أماناً لأهل الأرض فعلم أن المراد به مَنْ به تقوم الدنيا وهم أعلامه وأدلة الهدى في كل وقت فإذا تفانوا لم يبق للأرض حرمة فعمهم البلاء.

فإن قال قائل بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقربهم منه صاروا أمان لأهل الأرض، قيل: حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظيمة جليلة وفي الأرض ما هو أعظم من حرمة ذريته وهو كتاب الله فلا نجد ذكره في الحديث ثم الحرمة لأهل التقوى لأنه إنما عظمت حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفضل النبوة وما أكرمه الله تعالى به، والدليل على ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وعندها صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا صفيّة عمّة رسول الله اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم، واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون وأن تكونوا أنتم مع قرابتكم فذلك لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقولون يا محمد فأقول هكذا ثم تقولون يا محمد فأقول هكذا أعرض بوجهي عنكم فتقولون يا محمد أنا فلان بن فلان، فأقول أما النسب فأعرف وأما العمل فلا أعرف،

نبذتم الكتاب فارجعوا إلى قرابة بيني وبينكم)"[1]"، ورُوِيَ أنَّه قال جهاراً غير سر: (ألا إن أوليائي منكم ليسوا بأبي فلان، لكن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا)"[2]" ا.هـ.

أقول: روى جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)، وفي رواية (غرق)، وفي أخرى: (زج في النار)"[3]"، وعن أبي ذر سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس، ولا تهتدي الرأس إلا بالعينين)"[4]"، وروى الحاكم وصححه على شرط الشيخين: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)، وأخرج جماعة من أصحاب السنن أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي) وفي رواية: (أهل بيتي

1- متفق عليه.

2- رواه الطبراني.

3- رواه الطبراني.

4- رواه الطبراني بلفظ: عن سلمان قال : "انزلوا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الرأس من الجسد وبمنزلة العين من الرأس فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين".

أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون)"[1]"، ورواية أحمد: (إذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض).

ومعناه على كل حال أنَّ وجودهم رضي الله عنهم في الأرض أمان لأهلها عموماً، ولأمته صلى الله عليه وآله وسلم خصوصاً من العذاب، وليس القصد منه صلحاءهم خاصة، فإنَّ هذه المزية الشريفة للعنصر النبوي بقطع النظر عما يعرض على أهله من الأوصاف محمودة أو غير محمودة.

قال العلامة الصبان في إسعاف الراغبين: "وقد يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾"[2]"، أقيم أهل بيته مقامه في الأمان لأنهم منه وهو منهم كما ورد في بعض الطرق"ا.هـ.

فأنت تراه صريحاً في أنَّ المراد العنصر الطاهر مجرداً عن الأوصاف وأصرح منه في ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول الناس هلاكاً قريش، وأول قريش هلاكاً أهل بيتي)"[3]"، وفي رواية بدل هلاكاً فناءً، وبدل أهل بيتي بنو هاشم.

قال شراح الحديث منهم المناوي وغيره: فهلاكهم من أشراط الساعة

1- رواه الحاكم والطبراني.

2- الأنفال آية 33.

3- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث والمتقي الهندي في كنز العمال وعزوه إلى الحاكم في الكنى والطبراني.

وأمارتها الدالة على قرب قيامها، إذ لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس يعني وهم خيارهم، فهذا الحديث كالتفسير لذلك وخير ما فسرته بالوارد، وبهذا يظهر بطلان ما ادَّعاه الحكيم الترمذي من أن أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث هم الأبدال والصديقون.

والجواب عن الشبهة الأولى: وهي قوله: فكيف يتصور أن يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد وهم أكثر من أن يحصى وبركة الله عليهم دائمة ورحمته مظلة من فوقهم، أنه لا مانع من تصور ذلك وأي حرج فيه؟ لا سيما وقد صرح به الحديث الآخر الذي تقدم وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول الناس هلاكاً قريش، وأول قريش هلاكاً أهل بيتي) وذلك من جملة رحمة الله لهم، لما تقرر من أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وهم خيارهم ولذلك كانوا أول الناس هلاكاً، ووليتهم قريش لأنها تليهم في الفضل والمنزلة والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما ذاك إلا من رحمة الله لهم وإكرامه إياهم، وأما قوله وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي) فليس معناه أن الانقطاع انقراض الذرية ولكنه مخصوص بيوم القيامة كما هو صريح الروايات الصحيحة، ومعنى الانقطاع عدم الانتفاع بالأنساب إذ ذاك كما قال الله تعالى: ﴿لَا أَنْسَاب بَيْنهمْ يَوْمَئِذٍ﴾"[1]"، واستثنى صلى الله عليه وآله

1- المؤمنون آية101.

وسلم سببه ويكون بالتزويج، ونسبه ويكون بالولادة لأن النفع بهما متصل لا ينقطع في الدنيا والآخرة، ويؤيده ما صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله على المنبر: (ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة، بلى إنَّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة)"[1]".

والجواب عن الشبهة الثانية: وهى قوله: أن أهل بيته نسبة بنو هاشم وبنو عبد المطلب، ولم يكونوا أماناً لهذه الأمة حتى إذا ذهبوا ذهبت الدنيا، أن معنى كونهم أماناً لهذه الأمة بل لأهل الأرض أن وجودهم فيها علامة على أن الدنيا لم يحن وقت ذهابها فإذا هلكوا جاء أهل الأرض من الآيات الدالة على قيام الساعة وذهاب الدنيا ما يوعدون، فهم ما داموا فيها في أمان من ذلك.

والجواب عن الشبهة الثالثة: وهى قوله: أنه قد يوجد منهم الفساد كما يوجد في غيرهم، ومنهم المحسن ومنهم المسيء، فبأي شيء صاروا أماناً لأهل الأرض، أنهم صاروا أماناً لأهل الأرض لا بعمل عملوه، ولا بصالح قدموه، ولكن بعنصرهم النبوي الطاهر الذي خصهم الله به في الأزل وميزهم لأجله بمزايا لم توجد ولن توجد في غيرهم، ومنها هذه المزية الجليلة التي هي من رحمة الله الخاصة بأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومهبط الوحى التي لا تدخل تحت قياس ولا يشاركهم فيها أحد من

1- رواه أحمد.

الناس، وهذان الجوابان يعلمان من جواب الشبهة الأولى فافهمه تفهمهما.

وقوله: وفي الأرض ما هو أعظم حرمة من ذريته صلى الله عليه وآله وسلم وهو كتاب الله فلا نجد ذكره في الحديث اعتراض غير وارد فإنه لا يلزم من ذكره صلى الله عليه وآله وسلم حرمة ذريته في حديث أن يذكر معهم حرمة كتاب الله وإن كانت أعظم من حرمتهم، وقد قرنهم به في حديث الثقلين وهو غير لازم في كل حديث ولم يدّع أحد أنهم أعظم حرمة من كتاب الله أو مساوون له حتى يعترض بهذا وهم لم يفضلوه بهذه المزية فإنه أيضاً يرفع قبل قيام الساعة، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "اقرءوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع" قيل يا أبا عبد الرحمن كيف يرفع وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا؟ قال: "يسري عليه ليل فلا يذكر ولا يقرأ"[1].

ومعلوم أن ابن مسعود لا يقول هذا برأيه إذ لا مدخل للرأي فيه، فهذا كتاب الله أمان لأهل الأرض ما دام فيهم من العذاب وذهاب الدنيا، ولم توصف الذرية الطاهرة بأكثر من ذلك.

بقي قوله: ثم الحرمة لأهل التقوى، **وقوله**: والدليل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وعندها صفية عمة رسول الله، فقال: (يا بني عبد مناف يا بني

1- رواه البيهقي في الشعب والدارامي في سننه.

عبد المطلب الخ...)

وقد أجاب عن هذا المحب الطبري بجواب شاف نقله عنه المناوي في الكبير والصبان في الإسعاف وهو أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لأحد شيئاً لا نفعاً ولا ضرّاً لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة، فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه كما أشار إليه في رواية البخاري بقوله: (ولكن لهم رحم أبلها ببلاها) أي أصلها بصلتها وكذا معنى قوله: (لا أُغْنِي عنكم من الله شيئاً) أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني به الله من نحو شفاعة أو مغفرة، وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والتحريض على أن يكونوا أولى الناس حظاً في تقوى الله وخشيته، قال الصبان: "وقيل هذا قبل علمه بنفع الانتساب إليه على أن اللغة العربية لا تساعد الحكيم على ما فسر به الحديث وهل أحد يفهم معنى الأبدال من لفظ أهل بيتي؟ كلا والله لا يفهم أحد من المخاطبين بهذا سوى أهل بيت نسبه صلى الله عليه وآله وسلم كما هو وضع اللغة العربية التي هي لغته عليه الصلاة والسلام".

وفضل الأبدال رضي الله عنهم ونفعنا بهم وعلو منزلتهم وقربهم من الله ورسوله مما لا يشك فيه مؤمن ولكنهم أنفسهم لا يرضون بإلباسهم حلة كرامة خلعها الله على عترة حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم حاشاهم ثم حاشاهم.

وإني على يقين من أنَّ الحكيم الترمذي رضي الله عنه كان من أكابر

الأولياء وأكاد أجزم أنَّ ما مَرَّ عنه محمول على أحد وجهين:

أحدهما: وهو الأقرب أن جميع ذلك مدسوس في كتابه من أحد مبغضيه أو مبغضي أهل البيت كما وقع ذلك لكثير من العلماء والأولياء منهم الشيخ الأكبر سيدى محيي الدين بن العربي والعارف المحقق سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعراني وغيرهما.

والثاني: أنه كان مجاوراً لقوم من غلاة الشيعة الذين أفرطوا بالتزامهم جانب أهل البيت رضي الله عنهم وضلوا برفضهم موالاة كثير من أجلاء الصحابة ولا سيما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فرَدَّ عليهم وشَنَّع كما يتضح من عباراته، وحمله ذلك على ما ذكره في شأن أهل البيت ومع هذا فقد وصفهم في غضون كلامه بأوصاف جميلة واعترف لهم بمزايا جليلة كما هو شأنه وشأن أمثاله رضي الله عنه وأرجو أن يثيبني الله على ما أقدمت عليه وأن لا يلحقني ندم فيما جرى به القلم فإن القصد جميل، والله على ما أقول وكيل.

المقصد الثاني

في الكلام على شرفهم ومزاياهم وما اختصهم الله به دون من عداهم

اعلم أنَّ جميع ما ذكر في هذا الكتاب أولاً وآخراً هو من خصوصياتهم التي لا ينازعهم فيها منازع ولا يدافعهم عنها مدافع، ولكن ربما كان بعضها خصوصية نسبية أي بالنسبة لمن لم توجد فيهم، كالقطع لهم بالجنة وتحريمهم على النار، فإن هذا المعنى موجود في المبشرين بالجنة من الصحابة رضوان الله عليهم كالعشرة وغيرهم، وكلعن مبغضهم، ووصفه بالنفاق والكفر في بعض الأحاديث، وكذا الصحابة ورد في حقهم مثل ذلك، وإني ذاكر في هذا المقصد بعض الخصائص التي لا توجد في غيرهم البتة.

فمن خصائصهم رضي الله عنهم: تحريم الزكاة عليهم قال الإمام النووي في شرح مسلم: "تحرم الزكاة عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، هذا مذهب الشافعي وموافقيه، وبه قال بعض المالكية، وقال أبو حنيفة ومالك هم بنو هاشم خاصة، قال القاضي عياض وقال بعض العلماء هم قريش كلها، وقال أصبغ المالكي: "هم بنو قصي" دليل الشافعي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (إن بني هاشم وبني المطلب شيء واحد)"[1]، وقسم بينهم سهم ذوي القربى وأما صدقة التطوع

1- رواه أحمد والبخاري.

فللشافعي فيها ثلاثة أقوال:

أصحها: أنَّها تحرم على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، وتحلّ لآله.

والثاني: تحرم عليه وعليهم.

والثالث: تحل له ولهم.

وأما موالي بني هاشم وبني المطلب فهل تحرم عليهم الزكاة فيه وجهان لأصحابنا: **أصحهما**: تحرم **والثاني** تحل، وبالتحريم قال أبو حنيفة وسائر الكوفيين وبعض المالكية، وبالإباحة قال مالك وادعى ابن بطال المالكي أن الخلاف إنما هو في موالي بني هاشم وأما موالي غيرهم فتباح لهم بالإجماع وليس كما قال بل الأصح عند أصحابنا تحريمها على موالي بني هاشم وبني المطلب ولا فرق بينهما واللَّه أعلم "ا.هـ.

وعبارة الصبان في الإسعاف: "قصر مالك وأبو حنيفة رضي الله عنهما تحريمها على بني هاشم، وقال الشافعي وأحمد: بتحريمها على بني هاشم وبني المطلب، وروى عن أبي حنيفة جوازها لبني هاشم مطلقاً، وقال أبو يوسف: تحل من بعضهم لبعض، ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد: جواز أخذهم صدقة النفل وهو رواية عن مالك، وروى عنه حل أخذ الفرض دون التطوع لأن الذل فيه أكثر"ا.هـ.

وفي كشف الغمة: "قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يقول عن الصدقة: (إنَّما هي أوساخ الناس، وإنها لا

تحل لمحمد ولا لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم)"[1]، وكان أنس رضي الله عنه يقول: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما يوماً تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (كخ كخ ارم بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة)"[2]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لبني هاشم وبني المطلب: (أن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم أو يغنيكم)"[3]، وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم سهم ذوي القربى على بني هاشم وبني المطلب دون بني نوفل وعبد شمس ويقول: (إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد)"[4]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن فلان عاملك على الصدقة دعاني لأكون مساعداً له ويعطيني منها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الصدقة لا تحل لنا، وإن مولى القوم منهم)"[5]ا.هـ.

وقال المناوي: قوله إنما هي أوساخ الناس: أي أدناسهم وأقذارهم لأنها تطهر أدرانهم، وتزكى أموالهم ونفوسهم ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

1- رواه مسلم.

2- متفق عليه.

3- رواه الطبراني.

4- رواه الطبراني.

5- رواه الترمذي والنسائي والحاكم.

وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾"[1] كغسالة الأوساخ فهي محرمة عليهم بعمل أو غيره، حتى من بعضهم لبعض، ومن زعم استثناءه فقد أبعد.

وقد سأل بعض الآل عمر أو غيره جملاً من الصدقة فقال: "أتحب أن رجلاً بادنا في يوم حر غسل ما تحت كذا فشربته، فغضب وقال أتقول لي هذا؟ قال: إنما هي أوساخ الناس يغسلونها""[2]ا.هـ.

وفي البحر المورود لسيدي الولي الكبير الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه لما سأل الفضل بن عباس رضي الله عنهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستعمله على الصدقات قال له صلى الله عليه وآله وسلم: (معاذ الله أن أستعملك على غسالة ذنوب الناس).

وقد قال بعض أئمة اللغة: "إنَّ الوسخ يشمل الغائط فما دونه، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكني عن القبيح ما أمكن، ثم اعلم يا أخي أن الوسخ يزيد في القبح وينقص بحسب كسب المتصدق، فإن كان يرابي ويغش في المعاملة، ويأخذ المكس من التجار، ويأكل الرشوة، فحكمه كالخرا والقيح، وإن كان ينصح في المعاملة، ولكنه يبيع على من يفعل ذلك من الظلمة والقضاة، فحكمه كالبول والدم وقس على ذلك وأقل المراتب أن يكون كالبصاق"ا.هـ.

1- التوبة آية 103.

2- رواه مالك في الموطأ.

قال الطيبي: "لا يقال كيف أباحها لبعض أمته، ومن كمال إيمان المرء أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لأنا نقول ما أباحه لهم عزيمة بل اضطراراً، وكم أحاديث نراها ناهية عن السؤال فعلى الحازم أن يراها كالميتة ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾"[1].

وقوله: وكم أحاديث نراها ناهية عن السؤال.

منها أنَّ حكيم بن حزام رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غنائم حنين فأعطاه مائة من الإبل، ثم سأله فأعطاه مائة، ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له: يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها وقال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا وكان كذلك رضي الله عنه، فكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يعرضان عليه العطاء فيأبى"[2].

قال العارف الشعراني: "وقد رأيت مرة شخصاً جاء إلى سيدى علي الخواص بمال والشيخ رمد، وهو جالس يضفر الخوص، فقال له: يا سيدي خذ هذه الدراهم فاستعن بها على نفقة البيت واترك الضفر حتى تبرأ، فرده

1- البقرة آية 173.

2- متفق عليه.

وقال: والله إني كما تراني أضفر في هذا الرمد ولا يطيب لي أن آكل من كسبي هذا فكيف آكل من كسبك أنت؟ فقال: يا سيدي إن مثلك لا يغش في صنعته فكيف لا تطيب نفسك أن تأكل من صنعتك؟ فقال صحيح ما ثَمَّ إن شاء الله غش ولكن أبيع على من؟ وجميع الفقهاء والتجار والزياتين وغيرهم إذا أتاه مكَّاس أو قاض يشتري منه شيئاً لا يرده قط بل يفرح بفلوسه غاية الفرح، وإذا أخذنا فلوس الظلمة والمكاسين فنحن سواء لاتحاد العين المتداولة بأيديهم فقال: يا سيدي هذا شيء ما كان لي على بال وتركه وانصرف، وهو يقول: لله يا أولياء الله"ا.هـ.

وهذا التدقيق من الشيخ رضي الله عنه لا يقتضي منع غيره من قبول الصدقة، فإنها مباحة حتى لأهل البيت إن كانت نفلاً كما تقدم مالم يتحقق أنها من مال حرام، وهى مع إباحتها أمر مرغوب عنه إلا للضرورة، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (واليد العليا خير من اليد السفلى) تعرف ذلك، فإن قلت قد ثبت تحريم صدقة الفرض على آله صلى الله عليه وآله وسلم وصدقة النفل وإن كانت مباحة لهم على الصحيح إلا أن نفوسهم الشريفة ربما تأباها إلا لمن يرى لقوة إيمانه ونفاذ بصيرته أن لهم الفضل والمنة عليه بقبول صدقته وقليل ما هم، فمن أين يتعيش من لا مال له منهم؟ قلت: أما سمعت قوله صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً لهم: (إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم) وفي بدل خمس الخمس الذي هو حقهم في بيت مال المسلمين أدامه الله عامراً ما في كفايتهم

وليس القصد إلا ذلك لا أن يكثر مالهم، فإن بينهم وبين ذلك سداً حاجزاً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتاً)"[1]"، وما أشبهه من الأحاديث الواردة في هذا المعنى.

قال الشعراني رضي الله عنه: "نعمة التقلل من الدنيا أكبر من نعمة الإكثار منها لأنها طريق الأنبياء والأصفياء، ولولا أن التقلل أفضل وأكثر أجراً ما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتاً) والقوت هو الذي لا يفضل منه شيء عن الغداء والعشاء، فشيء اختاره صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه وأهل بيته لا أكمل منه" ا.هـ.

وقد دعا صلى الله عليه وآله وسلم لمبغضه وأهل بيته بعكس ذاك فعن عليّ رضي الله عنه: (اللَّهُمَّ ارزق من أبغضني وأهل بيتي كثرة المال والعيال)"رواه الديلمي"، قال ابن حجر: كفاهم أن يكثر مالهم فيطول حسابهم، وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم، ولا يشكل هذا بالدعاء لأنس بمثل ذلك لأن ذلك نعمة في حقه يتوصل بها إلى كثير من الأمور المطلوبة بخلافه في حق مبغضهم.

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: كونهم أشرف الناس نسباً وأفضل الخلق حَسَباً: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله قسم الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً،

1- رواه مسلم.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهم ثلثاً، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)"[1]"، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)"[2]"، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: (إن الله خلق الخلق فاختار منهم بني آدم، ثم اختار من بني آدم العرب، ثم اختار من العرب مضر، ثم اختار من مضر قريشاً ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فلم أزل خياراً من خيار)"[3]"، وأخرج أحمد والمحاملي وغيرهما عن عائشة رضي الله

1- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث وعزاه للطبراني.

2- رواه مسلم عن واثلة بن الأصقع.

3- رواه البيهقي.

عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قال لي جبريل قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم)، قال الحافظ ابن حجر: أنوار الصحة تلوح على صفحات متن هذا الحديث.

وعن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أتاني جبريل رضي الله عنه فقال: يا محمد إن الله بعثني فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حياً خيراً من العرب، ثم أمرني فطفت في العرب فلم أجد حياً خيراً من مضر، ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حياً خيراً من كنانة، ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حياً خيراً من قريش ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حياً خيراً من بني هاشم، ثم أمرني أن أختار من أنفسهم فلم أجد فيهم نفساً خيراً من نفسك)"1"، وأخرج الإمام أحمد بسند جيد عن العباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر فقال: (من أنا؟) قالوا أنت رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أول من أشفع له

1- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث والمتقي الهندي في كنز العمال.

يوم القيامة من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم ومن أشفع له أولاً أفضل) أخرجه الطبراني والدارقطني مرفوعًا.

فهذه أحاديث صحيحة ونصوص صريحة تدل على أن أهل البيت أفضل الناس حسباً ونسباً، ويتفرع على هذا أنهم لا يكافئهم في النكاح أحد من الناس، وبه صرح غير واحد من الأئمة، قال الجلال السيوطي في الخصائص: "ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم أن آله لا يكافئهم في النكاح أحد من الخلق".

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: أنَّ كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد ذلك في الحديث الصحيح وتقدم في المقصد الأول.

وصحَّ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب لنفسه أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنهما من أبيها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فاعتل بصغرها وبأنه حابسها لولد أخيه جعفر، فألح عليه عمر ثم صعد المنبر فقال: أيها الناس والله ما حملني على الإلحاح على علي في ابنته إلا إني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري) فأمر بها عليٌّ فزينت وبعث بها إليه فلما رآها قام وأجلسها في حجره فقبلها ودعا لها، فلما قامت أخذ بساقها وقال لها قولي لأبيك قد رضيت، فلما جاءت قال لها ما قال لك؟

فذكرت له جميع ما فعله وما قاله، فأنكحها إياه فولدت له زيداً مات رجلا"[1].

قال الطيبي: "والنسب ما يرجع إلى ولادة قريبة من جهة الآباء، والصهر ما كان من خلطة تشبه القرابة يحدثها التزوج والسبب كذلك يكون بالتزويج".

وعُلم بهذا الحديث ونحوه عظيم نفع الأنساب إليه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يعارضه ما في أخبار أُخَر من حَثِّه صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته على خشية الله واتقائه وطاعته، وأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً لأنه لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، لكن الله يملكه نفع أقاربه فقوله: (لا أغني عنكم شيئاً) أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني الله به من نحو شفاعة أو مغفرة فخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف.

واعلم أنه لا ينبغي لمنسوب إليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعتمد على ما ذكر، لأنه إنما ثبت لمن هو في الواقع متصل به عليه الصلاة والسلام ومن آل بيته، ومن أين تحقق ذلك لقيام احتمال زلل بعض النساء وكذب بعض الأصول في الانتساب وإن كان خلاف الظاهر، على أن المأثور عن أكابر آل البيت شدة خشيتهم من الله تعالى وعظم خوفهم من عذابه وكثرة تأسفهم على أدنى تقصير وقع منهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

1- رواه الطبراني والبيهقي وعبد الرزاق في مصنفه.

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: الاصطلاح في الصدر الأول على إطلاق اسم الأشراف عليهم دون غيرهم ثم خص منهم بالحسنيين والحسينيين فقط.

قال السيوطي في رسالته الزينبية: "اسم الشريف يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت سواء كان حسنيّاً أم حسينيّاً أم علويّاً من ذرية سيدنا محمد بن الحنفية أو غيره من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم جعفرياً أم عقيلياً أم عباسياً، فلما ولي الخلافة الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط واستمر ذلك بمصر إلى الآن"ا.هـ.

قلت: وهذا الاصطلاح عم الآن البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً فمتى أطلق لفظ الشريف في اللغة العربية لا ينصرف إلا لمن كان حسنيّاً أو حسينيّاً، وحدث في كثير من البلاد الاصطلاح أيضاً على لفظ السيد على كل منهما خاصة، فمتى أطلق لا ينصرف لسواهم وهذا في غير الحجاز فإنهم اصطلحوا فيه على إطلاق الشريف على من كان حسنياً والسيد على من كان حسينياً للتفرقة بينهما.

قال ابن حجر المكي: "ولا يدخل غير ذرية الحسن والحسين في الوقف على الأشراف والوصية لهم، لأن الوقف والوصية منوطان بعرف البلد وعرف مصر ونحوها اختصاصهم بذرية الحسن والحسين"ا.هـ.

وقد علمت العرف الطارئ في الحجاز، وأمَّا تخصيص العمامة الخضراء بهم

فأصله أنَّ ملك مصر الأشرف شعبان بن حسين أمر في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بتقديم الموحدة فيهما بتخصيصهم بعلامة خضراء توضع على عمامة أحدهم للفرق بين الشريف وغير الشريف، ثم توسع فيها حتى جعلت العمامة كلها خضراء، ونظم الأدباء في ذلك أشعاراً منها قول جابر بن عبد الله الأندلسي:

جعلــــوا لأبنـــــاء النــــبي علامـــــة
إن العلامـــــة شــــأن مـــــن لـــــم يشـــــهر
نـــــور النبـــــوة في وســــيم وجـــــوههم
يغـــني الـــشريف عـــن الطـــراز الأخـــضر

وقول شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي:

أطـــــراف تيجـــــان أتـــــت مـــــن ســــندس
خــــــــــــضر بـــــــــــأعلام على الأشراف
والأشرف الســـــــلطان خصـــــــهم بهـــــا
شرفـــــاً ليفـــــرقهم مـــــن الأطـــــراف

ولعل اختيار هذا اللون لكونه أفضل الألوان، أو كونه لون الحلة التي يكساها في الموقف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أو كونه لون ثياب أهل الجنة"ا.هـ إسعاف.

قال الإمام السيوطي: "لبس هذه العلامة بدعة مباحة لا يمنع منها من

أرادها من شريف وغيره، ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره، والمنع منها لأحد من الناس كائناً من كان ليس أمراً شرعياً، لأن الناس مضبطون بأنسابهم الثابتة، وليس لبس العلامة مما ورد به الشرع فيتبع إباحةً ومنعاً، أقصى ما في الباب أنه أحدث التمييز بها لهؤلاء عن غيرهم، وقد يستأنس فيها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾"[1]، فقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس ليعرفوا فيجلوا تكريماً للعلم وهذا وجه حسن والله أعلم".

قال العلامة الصبَّان: "يؤخذ من الآية التي استأنس بها في لبس العلامة الخضراء استحباب لبسها للأشراف وهو الذي ينبغي اعتماده وتكره لغيرهم، لأن فيها انتساباً بلسان الحال إلى غير من ينسب إليه الشخص في نفس الأمر، وانتساب الشخص إلى غير من ينسب إليه في نفس الأمر منهى عنه محذر منه.

قال: ولم يكتف في هذه الأعصار بتلك العلامة بل جعلت العمامة كلها خضراء وحكمها حكم تلك العلامة" انتهى.

وهذا إنما يظهر في البلاد التي بقي أهلها على اصطلاح تخصيص العمائم الخضر بالأشراف كمصر، أما في غيرها كالقسطنطينية فلا، فإن العلامة

1- الأحزاب آية 59.

الخضراء فيها لا دلالة لها على الشرف أصلاً، لما أن العلماء فيها والطلبة وغيرهم من أرباب العمائم لا يخلو أحدهم في الغالب من عمامة خضراء يستعملها في بعض الأحيان، وقد يكثر استعمالها في فصل الشتاء لعدم ظهور الوسخ فيها بل تجاوزهم الأمر إلى كثير من أهل الحرف وباعة الشوارع، فإنهم كثيراً ما يتعممون بالعمائم الخضر لهذه العلة وهكذا لفظ السيد عندهم ليس خاصاً بالشريف، فإنك إذا ذهبت إلى سوق الحكاكين، واجتهدت في أن ترى ختماً لم يكتب فيه السيد فلان لا تكاد تراه إلا أن يكون لسيد شريف صحيح النسب أو لرجل من أهل الدين والحياء وإنما لا يكتب الأشراف لفظ السيد في أختامهم لخوف الاشتباه في أنسابهم حينئذ بسبب كثرة استعمال الأغيار إياه، ومن هنا ترى أكثرهم لا سيما أشراف الحجاز لا يلبسون العمائم الخضر لهذه الحكمة فقد زال التمييز، واختلط الصفر بالإبريز، والأشراف مضبوطون بأنسابهم، لا بألقابهم، ومعروفون بأحسابهم لا بأثوابهم، ولقد أفحش في الخطأ من ظن الشرف بالألوان، أو بقول الناس يا سيد فلان، فرحم الله إمرءاً عرف حده، فثبت عنده وعلم مقامه، فلم يتقدم أمامه، فإن الكذب مداه قصير، والزيف لا يخفي على الناقد البصير.

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: استعمال النقباء منهم عليهم، وهذه النقابة وضعت في الأصل لصيانتهم عن أن يتولى عليهم من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف، ويختار لها أجلهم بيتاً وأكثرهم فضلاً

وأجزلهم رأياً لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة فيسرعوا إلى طاعته برياسته وتستقيم أمورهم بسياسته، ويلزمه لهم بتقلدها اثنا عشر حقّاً:

أحدها: حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس منها أو خارج عنها وهو منها.

والثاني: معرفة أنسابهم وتمييز بطونهم ويثبتهم في ديوانه على التمييز.

والثالث: معرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى فيثبته ومعرفة من مات فيذكره.

والرابع: أن يحملهم على الآداب التي تضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم لتكون حشمتهم في النفوس موفورة وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم محفوظة.

والخامس: أن ينزههم عن المكاسب الدنيئة، ويمنعهم من المطالب الخبيثة حتى لا يستقل ولا يستضام منهم أحد.

والسادس: أن يكفهم عن ارتكاب المآثم ويمنعهم من انتهاك المحارم، ليكونوا على الدين الذي نصروه أغير، وللمنكر الذي أزالوه أنكر، فلا ينطلق بذمهم لسان ولا يشنؤهم إنسان.

والسابع: أن يمنعهم من التسلط على العامة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض ويبعثهم على المناكرة والبعد، وأن يندبهم إلى استعطاف القلوب، وتألف النفوس ليكون الميل إليهم أوفى، والقلوب لهم أصفى.

والثامن: أن يكون عوناً لهم في استيفاء حقوقهم حتى لا يضعفوا عنها،

وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يمنعوا أهلها منها، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين، فإن من عدل السيرة فيهم إنصافهم وانتصافهم.

والتاسع: أن ينوب عنهم في حقوقهم في بيت مال المسلمين.

والعاشر: أن يمنع نساءهم أن يتزوجن إلا من الأكفاء لشرفهن على سائر النساء صيانة لأنسابهن وتعظيماً لحرمتهن.

والحادي عشر: أن يقوِّم ذوى الهفوات منهم، ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته ويغفر بعد الوعظ زلته.

والثاني عشر: أن يراعي وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها ويراعي قسمتها عليهم بحسب الشروط والأوصاف.

ويزاد على ذلك في النقابة العامة خمسة أشياء أخرى:

أحدها: الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

والثاني: الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

والثالث: إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

والرابع: تزويج الأيامى اللاتي لا يتعين أولياؤهن أو قد تعينوا فعضلوهنّ.

والخامس: إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه وفكه إذا أفاق ورشد.

انتهى ملخصاً من الأحكام السلطانية للإمام الماوردي.

هكذا كانت نقباء الأشراف في الأزمنة السالفة، أما الآن فهم كما ترى لا يجدون طاعة ولا سمعاً ولا يملكون ضراً ولا نفعاً.

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: طلب إكرام فاسقهم وتوقيره واعتقاد أن ذنبه مغفور، وأن الله متجاوز عن سيئاته ولابد ولو بتوفيق الله إياه للتوبة النصوح قبل الموت قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾"[1]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يعلم جاهلكم)"[2]"، وقد تقدم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار)"[3]"، وغيره من الأحاديث الدالة على القطع لهم بالجنة من غير سابقة عذاب، فلا حاجة لإعادتها هنا، وإنما طلب إكرام فاسقهم، لأن إكرامه ليس لفسقه وإنما هو لعنصره الطاهر ونسبه الزاهر، وهذا موجود في طالحهم كوجوده في صالحهم، وفسق أحدهم لا يخرجه عن بيت النبوة وهم بشر غير معصومين، فلا يطرأ بذلك خلل في نسبهم وإن كان يشين قدرهم الرفيع، ويحط بين الصالحين من رتبهم.

قال المقريزي: "حدثني الشيخ الفاضل يعقوب بن يوسف القرشي المكناسي قال: أخبرني أبو عبد الله محمد الفاسي قال: كنت أبغض بني حسين أشراف المدينة النبوية لما كان يظهر لي من تعصبهم على أهل السنة،

1- الأحزاب آية 33.

2- رواه الحاكم والطبراني.

3- رواه الحاكم.

فنمت مرة بالنهار بالمسجد النبوي تجاه القبر المقدس فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول لي يا فلان باسمي مالي أراك تبغض أولادي؟ فقلت حاشا لله يا رسول الله، ما أكرههم وإنما كرهت منهم ما رأيت من تعصبهم على أهل السنة، فقال لي: مسألة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب؟ فقلت بلى يا رسول الله، فقال هذا ولد عاق، فانتبهت وقد زال بغضي لهم ثم صرت لا ألقى منهم أحداً إلا بالغت في إكرامه"[1]ا.هـ.

فانظر أيها الشريف إلى تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتعصب على أهل السنة ولد عاقاً، وتذكر أن عقوق مطلق الوالدين من الكبائر فما بالك بعقوق جدك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

قال العلامة ابن حجر في خاتمة الفتاوى: "من علت نسبته إلى آل البيت النبوي والسر العلوي لا يخرجه عن ذلك عظيم جنايته ولا عدم ديانته وصيانته، ومن ثم قال بعض المحققين: ما مثال الشريف الزاني أو الشارب، أو السارق مثلاً إذا أقمنا عليه الحد إلا كأمير أو سلطان تلطخت رجلاه بقذر فغسله عنها بعض خدمته، ولقد بر في هذا المثال وحقق وليتأمل قول الناس في أمثالهم: الولد العاق لا يحرم الميراث، نعم الكفر إن فرض وقوعه لأحد من أهل البيت والعياذ بالله هو الذي يقطع النسبة بين من وقع منه وبين مشرفه صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما قلت إن فرض لأنني أكاد

1- ذكر القصة الميناوي في فيض القدير.

أجزم أن حقيقة الكفر لا تقع مما علم اتصال نسبه الصحيح بتلك البضعة الكريمة حاشاهم الله من ذلك، وقد أحال بعضهم وقوع نحو الزنا واللواط ممن علم شرفه فما ظنك بالكفر؟ هذا كله فيمن علم شرفه كما تقرر، وأما من يشك في شرفه فإن ثبت نسبه بوجه شرعي وجب على كل أحد تعظيمه لما فيه من الشرف والانكار على ما فيه من الخلال التي تنكر شرعاً، لما تقرر أنه لا يلزم من الشرف عدم الفسق، وإن لم يثبت نسبه شرعاً وادعاه ولم يعلم كذبه تعين التوقف عن تكذيبه، لأن الناس مأمونون على أنسابهم فليسلم له حاله، ولا ينبغي للإنسان أن يتحسى سماً وهو قادر على السلامة، وإذا كان المنسوبون لرجل صالح يتوقاهم الناس ويعظمونهم لأجل ذلك فما بالك بالمنسوبين إلى سيد الخلق كلهم صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم وحشرنا في زمرة محبيه ومحبي آله وأصحابه آمين" انتهى.

وهو كلام في غاية التحقيق سوى أن قوله أكاد أجزم أن حقيقة الكفر لا تقع إلى آخره، الأولى فيه حذف كاد"[1] لما تقدم في المقصد الأول من آية التطهير والأحاديث الواردة بالقطع لهم في الجنة وعدم انقطاع نسبهم يوم القيامة فإنه يدل على عدم وقوع حقيقة الكفر منهم بيقين، وقوله وإن لم يثبت نسبه شرعاً وادعاه الخ كلام حسن، وأحسن منه قول سيدي عبد الوهاب الشعراني في البحر المورود: "واعلم يا أخي أن تعظيمنا للشريف

1- الأصل أن تكون أكاد.

الذي طعن في صحة شرفه أوجه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تعظيم من صح نسبه، لأن المحقق شرفه لا جميلة لأحد في تعظيمه بخلاف غير المحقق الشرف إذا عظمناه على الرائحة فتأمل" انتهى.

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: اتصال نسبهم به صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة وانتفاعهم به، بخلاف سائر الأنساب فإنها تنقطع ولا ينتفع بها كما صرح به حديث: (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) ، وحديث: (ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنفع يوم القيامة، بلى إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض)"[1]"، وقوله تعالى: ﴿لا أنساب بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾"[2]" ونحوه مخصوص بغيرهم.

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: أن وجودهم في الأرض أمان لأهلها كما وردت به الأحاديث كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض)"[3]" وفي رواية: (أمان لأمتي)، وقد تقدم شرح ذلك في المقصد الأول.

واتفق شراح الحديث على تفسير أهل البيت في الحديث بالذرية، وانفرد

1- رواه أحمد والحاكم.

2- المؤمنون آية 101.

3- رواه الحاكم والطبراني.

الترمذي فذهب إلى أن المراد منهم الأبدال وقد سبق الرد عليه فارجع إليه إن شئت.

قال العلامة ابن حجر: والحكمة في اختصاص أولاد فاطمة بهذا الشرف دون أولاد سائر بناته صلى الله عليه وآله وسلم ما اختصت به رضي الله عنها من المزايا الكثيرة على أخواتها، منها ما ورد أن الله زوجها لعلي كرم الله وجهه في السماء قبل أن يتزوجها في الأرض، ومنها تمييزها عليهن بأنها سيدة نساء أهل الجنة، ومنها تمييزها عليهن بتسميتها بالزهراء إما لكونها لا تحيض من غير علة فكانت كنساء الجنة، وإما لكونها على ألوان نساء الجنة أو لغير ذلك، فهذه المذكورات ونحوها مما امتازت به من الفضائل لا يبعد أن يكون هو الحكمة في بقاء نسلها في العالم أمناً له من عموم الفتن.

أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم بذلك بأنهم في ذلك كالقرآن بقوله: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي، لن تضلوا ما استمسكتم بهما أبداً)"1".

قال: وأما الشرف الناشئ عما فيهم من البضعة الكريمة فلا يختص بأولاد فاطمة، فقد صرح المحققون بأنه لو عاش نسل زينب من أبي العاص أو نسل رقية وأم كلثوم من عثمان رضي الله عنهم لكان لهم من الشرف والسيادة ما لنسل فاطمة رضي الله عنها.

1- رواه الحاكم.

ومن خصائصهم رضي الله عنهم : أنهم أول من يدخل الجنة، روى الثعلبي عن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسد الناس فقال لي: (أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا).

ومن خصائصهم رضي الله عنهم: أنهم مع كونهم أولاد ابنته فاطمة، يسمون أبناءه وينسبون إليه صلى الله عليه وآله وسلم نسبة صحيحة، أخرج الطبراني قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه، وإن الله جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم)"[1].

قال في الإسعاف: "هذه الخصوصية لأولاد فاطمة فقط دون أولاد بقية بناته صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يطلق عليه صلى الله عليه وآله وسلم أنه أب لهم وأنهم بنوه كما يطلق ذلك في أولاد فاطمة، نعم يطلق عليهم أنهم من ذريته ونسله وعقبه" انتهى.

وتقدم لك عن ابن حجر أنهم لو عاشوا لكان لهم من الشرف والسيادة ما لأولاد فاطمة من حيث البضعة الشريفة.

1- رواه الطبراني.

وعدَّ الصبان من خصائصهم رضي الله عنهم: "أَنَّ مَنْ صنع مع أحد منهم معروفاً كافأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أراد التوسل وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فلْيَصِل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم)"[1]، قال: ومنها أن محبتهم تطوِّل العمر، وتبيض الوجه يوم القيامة، وبضد ذلك بغضهن كما في خبر أورده في الصواعق أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من أحب أن ينسأ - أي يؤخر- أجله وأن يُمتَّع بما خُوِّله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره، وورد عليَّ يوم القيامة مسوداً وجهه)"ا.هـ.

وهذا المعنى يوجد في أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم، فإنا نرى مبغضيهم سود الوجوه في الدنيا قبل الآخرة كما هو مشاهد لكل من في قلبه إيمان، والمراد من طول العمر حصول البركة فيه حتى تكثر حسنات صاحبه وتقل سيئاته فافهم.

1- رواه الطبراني بنفس المعنى.

فصل

في بعض فضائل الخمسة أهل العباء

فضائل سيدنا رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم

أما سيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فمبلـــــغ العلـــــم فيـــــه أنـــــه بـــــشر
وأنـــــــه خـــــــير خلـــــــق الله كلهـــــــم

لم يصل إلى ما وصل إليه صلى الله عليه وآله وسلم من الكمال والقرب من ذي الجلال نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقد صرح الأئمة الأعلام كالفخر الرازي وابن حجر وغيرهما بأن فضائل سائر الرسل والأنبياء لو اجتمعت في واحد وقوبلت بفضائله صلى الله عليه وآله وسلم لرجحت فضائله صلى الله عليه وآله وسلم عليها، فهو أفضلهم خصوصاً وعموماً، وكما أنه صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخلق على الإطلاق، فشريعته أفضل الشرائع، وأمته خير الأمم، وآله خير الآل، وأصحابه خير الأصحاب، ويجب على كل مسلم مطالعة الكتب التي ألفت في فضائله وأوصافه الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم، كالشفاء والمواهب وكتب السير حتى يعرف منزلة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وما خوله الله تعالى مما تعجز عن بيان حقيقته الألسنة والأقلام، ولا يزيد إلا جدةً على تقادم الليالي والأيام، ومجمل القول فيه أنه خير خلق الله وليس فوقه إلا الله، أماتنا الله على ملته وحشرنا في زمرته بجاهه صلى الله عليه وآله وسلم.

كيفية جليلة في الصلاة عليه صلي الله عليه وآله وسلم للإمام البكري الكبير المصري

وقد حبب لي أن أذكر هنا كيفية صلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم لسيدي العارف بالله محمد بن أبي الحسن البكري الكبير رضي الله عنه لأنها من أبلغ الكيفيات وأجمع الصلوات، وقد اشتملت من صفاته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم على أكمل الصفات وهى:

اللَّهُمَّ صل وسلم على نورك الأسنى، وسرك الأبهى، وحبيبك الأعلى، وصفيك الأزكى، واسطة أهل الحب، وقبلة أهل القرب، روح المشاهد الملكوتية، ولوح الأسرار القيومية، ترجمان الأزل والأبد، لسان الغيب الذي لا يحيط به أحد، صورة الحقيقة الفردانية، وحقيقة الصورة المزينة بالأنوار الرحمانية، إنسان الله المختص بالعبارة عنه، سر قابلية التهيؤ الإمكاني المتلقية منه، أحمد من حمد وحمد عند ربه، محمد الباطن والظاهر بتفعيل التكميل الذاتي في مراتب قربه، غاية طرفي الدورة النبوية المتصلة بالأول نظراً وإمداداً، بداية نقطة الانفعال الوجودي إرشاداً وإسعاداً، أمين الله على سر الألوهية المطلسم، وحفيظه على غيب اللاهوتية المكتم، من لا تدرك العقول الكاملة منه إلا مقدار ما تقوم عليها به حجته الباهرة، ولا تعرف النفوس العرشية من حقيقته إلا ما يتعرف لها به من لوامع أنواره الزاهرة، منتهى همم القدسيين وقد بدوا مما فوق عالم الطبائع، مرمى أبصار الموحدين وقد طمحت لمشاهدة السر الجامع، من لا تجلى أشعة الله لقلب

إلا من مرآة سره، وهي النور المطلق، ولا تتلى مزاميره على لسان إلا برنات ذكره وهو الوتر الشفعي المحقق، المحكوم بالجهل على كل من ادعى معرفة الله مجردة في نفس الأمر عن نفسه المحمدي، الفرع الحدثاني المترعرع في نمائه بما يمد به كل أصل أبدي، جنى شجرة القدم، خلاصة نسختي الوجود والعدم، عبد الله ونعم العبد الذي به كمال الكمال، وعابد الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال، الداعي إلى الله على صراط مستقيم، نبي الأنبياء وممد الرسل عليه بالذات وعليهم منه أفضل الصلاة وأشرف التسليم، يا الله يا رحمن يا رحيم، اللّهُمَّ صل وسلم على جمال التجليات الاختصاصية، وجلال التدليات الاصطفائية، الباطن بك في غيابات العز الأكبر، الظاهر بنورك في مشارق المجد الأفخر، عزيز الحضرة الصمدية، وسلطان المملكة الأحدية، عبدك من حيث أنت كما هو عبدك من حيث كافة أسمائك وصفاتك، مستوى تجلي عظمتك وعلمك ورحمتك وحكمك في جميع مخلوقاتك، من كملت بنور قدسك مقلته فرأى ذاتك العلية جهاراً، وسترت عن كل أحد من خلقك في باطنه لك أسراراً، وفلقت بكلمة خصوصيته المحمدية بحار الجمع، ومتعت منه بمعرفتك وجمالك وخطابك القلب والبصر والسمع، وأخرت عن مقامه تأخيراً ذاتياً كل أحد، وجعلته بحكم أحديتك وتر العدد، لواء عزتك الخافق، لسان حكمتك الناطق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وشيعته ووارثيه وحزبه، يا الله يا رحمن يا رحيم، اللّهُمَّ صل وسلم على دائرة الإحاطة العظمى، ومركز

محيط الفلك الأسمى، عبدك المختص من علومك بما لم تهيء له أحداً من عبادك، سلطان ممالك العزة بك في كافة بلادك، بحر أنوارك الذي تلاطمت برياح التعين الصمداني أمواجه، قائد جيش النبوة الذي تسارعت بك إليك أفواجه، خليفتك على كافة خليقتك، أمينك على جميع بريتك، من غاية المجد المجيد في الثناء عليه الاعتراف بالعجز عن اكتناه صفاته، ونهاية البليغ المبالغ أن لا يصل إلى مبالغ الحمد على مكارمه وهباته، سيدنا وسيد كل من لك عليه سيادة، محمدك الذي استوجب من الحمد بك لك إصداره وإيراده، وعلى آله الكرام، وأصحابه العظام، ووراثه الفخام، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفي "سبعا" أي يكرر هذه الآية تالي الصلوات سبع مرات ثم يقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، ويقرأ الفاتحة، ويهديها لمنشئ هذه الصلوات ويقول: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين.

هذه الصلوات الشريفة تلقاها صاحبها القطب الكبير سيدى محمد البكري رضي الله عنه من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح بذلك سيدى العارف بالله السيد مصطفي البكري رضي الله عنه في شرحه عليها والشيخ محمد البديري القدسي في ثبتة، وذكر لها فضلاً عظيماً، ومزايا جليلة، ذكرتها في كتابي (أفضل الصلوات على سيد

السادات) فمن شاءها فليرجع إليه وهو كتاب نفيس في بابه جامع لغرر صيغ الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا يستغنى عنه كل مسلم.

فضائل السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها

روى الترمذي وغيره عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أحب أهلي إليَّ فاطمة) ، وروى الطبراني عن أبي هريرة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يا رسول الله أينا أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال: (فاطمة أحب إليَّ منك وأنت أعز عليَّ منها)، قال سيدي عبد الوهاب الشعراني: "فصرَّح صلى الله عليه وآله وسلم بأن فاطمة أحب إليه من علي، وأما كونه أعز فنحتاج إلى دليل هل هو أعلى من أحب أم دونه؟ فتأمل" اهـ.

وروي عن كثير من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط إلى الجنة)"[1]، وعن أبي أيوب: (فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق)، وروى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة، وكانت

1- رواه الحاكم والطبراني.

إذا دخلت قام إليها ورحب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه".

وروى الطبراني بإسناد صحيح على شرط الشيخين، قالت عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة غير أبيها)، وروى الطبراني وغيره بإسناد حسن عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: (إن الله يغضب لغضبك ويرضي لرضاك)، وفي الجامع الصغير: (فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها)، وروى البخاري أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها)، وفي رواية: (فمن أغضبها أغضبني)، وروى ابن حبان وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني وأخبرني أن فاطمة سيدة نساء أمتي)، وروى ابن عبد البر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: (يا بنيَّة ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟) قالت: يا أبت فأين مريم؟ قال: (تلك سيدة نساء عالمها)، وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى السيدة مريم كثير من العلماء المحققين منهم التقي السبكي والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقريزي.

وعبارة السبكي حين سأل عن ذلك: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل، وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فاطمة بضعة مني ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً).

وعبارة المناوي في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)"[1]، قال جمع من السلف والخلف: "لا نعدل ببضعة المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم أحداً"، قال البعض: "وبه يعلم أن بقية أولاده صلى الله عليه وآله وسلم كفاطمة رضي الله عنها" انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر: "يدل لتفضيل بناته على زوجاته خبر أبي يعلى عن عمر مرفوعا: (تزوج حفصة خير من عثمان، وتزوج عثمان خيراً من حفصة)، وروى النسائي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث)".

قال الحافظ السيوطي في الخصائص: "ومن خصائص ابنته فاطمة رضي الله عنها أنها كانت لا تحيض، وكانت إذا ولدت طهرت من نفاسها بعد ساعة حتى لا تفوتها صلاة ولذلك سميت الزهراء، ولما جاعت وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدرها فما جاعت بعد، ولما احتضرت غسلت نفسها، وأوصت أن لا يكشفها أحد فدفنها علي رضي الله عنه بغسلها ذلك"ا.هـ.

وأما تسميتها بالبتول فقال الصبان: "سميت بذلك لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً ونسباً، والبتل في اللغة: القطع، قال: ومع كونها في تلك

1- متفق عليه.

المنزلة الرفيعة كانت رضي الله عنها في غاية من ضيق العيش، تنبيهاً للغافلين على أن الدنيا ليست مطمح نظر الكاملين".

روى أحمد أنَّ بلالاً أبطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما حبسك) قال: "مررت بفاطمة، وهي تطحن والصبي يبكي فقلت: إن شئت كفيتك الرحا، وإن شئت كفيتك الصبي، فقالت أنا أرفق بابني منك، فذاك الذي حبسني عنك"، وروى أحمد بسند جيد عن علي كرم الله وجهه أنه قال لفاطمة قد جاء أباك خدم كثير فاذهبي فاستخدميه، ثم أتيا إليه جميعاً، فقالت فاطمة: يا رسول الله لقد طحنت حتى كلت يدى، وقد جاءك الله بسعة فأخدمنا: يعنى أعطنا خادما فقال: (والله لا أعطيك وأدع أهل الصُّفَّة تطوي بطونهم من الجوع)، ثم قال: (ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟) فقال بلى قال: كلمات علَّمنيهنَّ جبريل: (إذا أتيتما إلى فراشكما فاقرآ آية الكرسيِّ وسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين) ا.هـ.

وقد زوجها صلى الله عليه وآله وسلم لعلي رضي الله عنه بأمر الله تعالى في السنة الثانية من الهجرة، عقد عليها في المحرم على بعض الروايات، ودخل بها في ذي الحجة، وهى ابنة خمس عشرة سنة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت ودعا لها صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الدخول بقوله: (اللَّهُمَّ إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ودعا بمثله لعلي رضي الله عنه ولهما بقوله أيضا: (جمع الله

شملكما فجعل الله نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمة).

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً لهما: (بارك الله لكما، وبارك فيكما، وأعز جدَّكما، وأخرج منكما الكثير الطيب)، قال أنس رضي الله عنه: "فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب"، وهذه خطبته عليه الصلاة والسلام حين عقد النكاح بعد أن دعا أجلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار، فلما اجتمعوا لديه وأخذوا مجالسهم وكان علي رضي الله عنه غائباً قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام، وألزم الأنام، فقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾"[1]" فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ﴿يَمْحُواْ اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾"[2]"، ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا أني قد زوجته إياها على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك .

1- الفرقان آية 54.

2- الرعد آية 39.

ثم دخل علي رضي الله عنه، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجهه وقال: (إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟) فخطب خطبة وقال: "رضيت بذلك يا رسول الله" "1".

ولم يتزوج عليها رضي الله عنها حتى ماتت، ولما خطب جويرية بنت أبي جهل قام صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر وقال: (إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، إنما هي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبداً)، فترك عليّ الخطبة، قال أبو داود: حَرَّم الله على علي رضي الله عنه أن ينكح على فاطمة رضي الله عنها مدة حياتها، توفيت رضي الله عنها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم بستة أشهر ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة.

1- روى بعض الحديث الطبراني.

فضائل أبو الحسنين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال الحافظ ابن حجر: "هو أول الناس إسلاماً في قول الكثير من أهل العلم"، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربى في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة: (ألا ترضي أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى)"[1]، وزوجه ابنته فاطمة، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه قال له: (أنت أخي)"[2]، ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: "لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي"، وقال غيره: "وكان سبب ذلك تنقيص بني أمية له، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته، وكلما أرادوا إخماده وهددوا من حدث بمناقبه لا تزداد إلا انتشاراً، وقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة هو غنى عنها، وتتبع النسائي ما خص به دون الصحابة فجمع من ذلك شيئاً كثيراً أسانيد أكثرها جياد"، وأخرج الشيخان في صحيحيهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: (لأرفعنَّ الرَّاية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه) فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غدوا وكل واحد منهم يرجو أن يعطاها، فقال

1- رواه البخاري.

2- رواه أحمد والحاكم والطبراني.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أين علي بن أبي طالب؟) فقالوا هو يشتكى عينيه، فأتى به فبصق في عينيه فدعا له خيراً فأعطاه الراية، وعن عمر رضي الله عنه: "ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم"[1].

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل من حديث جابر أَنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رفع الراية لعليّ يوم خيبر أسرع فجعلوا يقولون له ارفق حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً حتى أعادوه.

وبعثه صلى الله عليه وآله وسلم ليقرأ سورة براءة على قريش وقال: (لا يذهب إلا رجل منى وأنا منه)، وقال لبني عمه: (أيُّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟) ، فأَبَوْا فقال عليّ: "أنا"، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إنه وليِّي في الدنيا والآخرة)"[2]، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما تريدون من عليّ، إنّ عليّاً مني وأنا من عليّ وهو وليُّ كل مؤمن بعدي)"[3]، ونقل الحافظ ابن حجر في الإصابة عن مسند أحمد بن حنبل بسند جيد عن علي رضي الله عنه قيل: "يا رسول الله: من نُؤَمِّر بعدك؟ قال: (إن تُؤَمِّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تُؤَمِّروا عمر تجدوه قوياً أمينا لا يخاف في الله لومة لائم،

1- رواه النسائي في السنن.

2- رواه أحمد.

3- رواه الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحه.

وإن تُؤَمِّروا عليّاً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي عليّ: "يا ابن عباس إذا صليت العشاء الآخرة فالحق إلى الجبانة قال: فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة قال فقال لي: ما تفسير الألف من الحمد؟ قلت: لا أعلم، فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، ثم قال: ما تفسير اللام من الحمد؟ قلت: لا أعلم، فتكلم فيها ساعة تامة، ثم قال: ما تفسير الحاء من الحمد؟ قال قلت: لا أعلم، فتكلم فيها ساعة تامة، ثم قال: ما تفسير الميم من الحمد؟ قال: قلت لا أعلم قال فتكلم في تفسيرها ساعة تامة، قال: فما تفسير الدال من الحمد؟ قال: قلت لا أدرى، فتكلم فيها إلى أن بزِغ عمود الفجر قال: وقال لي قُم يا ابن عباس إلى منزلك فتأهب لفرضك فقمت، وقد وعيت ما قال ثم تفكرت فإذا علمي بالقرآن في علم علي، كالقرارة في المثعنجر"، قال: القرارة: الغدير الصغير والمثعنجر: البحر.

وقال ابن عباس: "عِلْمُ رسول الله من عِلْم الله، وعِلْمُ عليّ من عِلْم رسول الله وعِلْمي من عِلْم عليّ، وما علمي وعلم أصحاب محمد في علم عليٍّ إلا كقطرة في سبعة أبحر"، فانظر كيف تفاوت الخلق في العلوم والفهوم، ويقال أن عبد الله بن عباس أكثر البكاء على عليّ حتى ذهب بصره.

قال أبو الطفيل: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: "سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا

وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب".

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لقد أعطي عليّ تسعة أعشار العلم، وَأَيْم الله لقد شاركهم في العشر العاشر"، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به فيسأل علي بن أبي طالب، فلما بلغه قتله قال: "لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب"، وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن، وسُئِل عطاء أكان في أصحاب محمد أحد أعلم من عليّ؟ قال: لا والله ما أعلمه.

وقال معاوية يوماً لضرار الصدائي أحد أصحاب عليّ صف لي علياً قال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لَتَصِفَنَّه، قال: "أما إذ لا بد من وصفه: فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبةً له، يُعَظِّم الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، إليّ تعرضت أم إليَّ تشوفت هيهات قد

أبنتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آهٍ من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق"، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزني حزن من ذبح ولدها على حجرها.

وسيأتي تخصيصه أيضاً بذكر نبذة أخرى من فضائله مع الخلفاء الراشدين في خاتمة هذا الكتاب إظهاراً للمزيتين وإيفاء بحق الفضيلتين.

فضائل أبو محمد الحسن أمير المؤمنين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته رضي الله عنه

هو آخر الخلفاء الراشدين بنص الحديث، ولد رضي الله عنه في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن، وعَقَّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، قال أبو أحمد العسكري: "سمَّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن وكنَّاه أبا محمد ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية".

روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاملَ الحسن على عاتقه فقال رجل: نِعْمَ المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ونعم الراكب)"[1]، وعن

1- رواه الترمذي والحاكم.

البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضعا الحسن بن عليّ على عاتقه وهو يقول: (اللّهُمَّ إني أحبه فأحبه)"[1]"، وفي البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن بن عليّ معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)، وعن أبي بكرة أيضا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس، وكان الحسن بن عليّ يثب على ظهره إذا سجد يفعل ذلك غير مرة قالوا إنك لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد؟ قال: (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)"[2]"، وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: أشبه أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم به وأحبهم إليه الحسن، رأيته يجيء وهو ساجد، فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، وقد رأيته وهو راكع يفرج له بين رجليه، حتى يخرج من الجانب الآخر، وفي البخاري عن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث قال: صلَّى بنا أبو بكر العصر ثم خرج، فرأى الحسن بن عليّ يلعب، فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهاً بعليّ، وعلي يضحك، وكانت فاطمة رضي الله عنها تهز الحسن وتقول: مثل ذلك.

1- متفق عليه.

2- رواه أحمد.

وعن زهير بن الأرقم قال: قام الحسن بن عليّ يخطب فقام رجل من أزد شنوءة فقال: أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضعه على حبوته وهو يقول: (من أحبني فليحبه وليبلِّغ الشاهد الغائب)، ولولا كرامة النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حدثت به أحداً، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللّهُمَّ إني أحبه وأحب من يحبه)، فما كان أحد أحب إليّ من الحسن بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال"[1]"، وعنه رضي الله عنه قال: ما رأيت الحسن بن عليّ قط إلا فاضت عيناي دموعا، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يوما وأنا في المسجد وأخذ بيدي واتكأ علي، حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه، ثم رجع حتى جلس في المسجد، ثم قال ادع ابني فأتى الحسن بن عليّ يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتح فمه أي الحسن ثم يدخل فمه في فمه ويقول: (اللّهُمَّ إني أحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات)"[2]".

قيل أنه رضي الله عنه حج عشر حجات ماشياً وكان يقول: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، فكان يترك نعلاً ويأخذ نعلاً، وخرج من ماله كله مرتين، وتحقق فيه قوله

1- رواه البخاري.

2- رواه البزار والبخاري في الأدب المفرد.

صلى الله عليه وآله وسلم: (إن ابنى هذا سيد...) الحديث.

فإنه لما وَلِيَ الخلافة بعد قتل أبيه بايعه أكثر من أربعين ألفاً كانوا بايعوا أباه على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحب له، وبقى خليفة نحو سبعة أشهر في العراق وخراسان واليمن والحجاز وغير ذلك، ثم سلم الأمر إلى معاوية بدون حرب وهو العزيز خوفاً من إراقة دماء المسلمين، فلما بايعه خطب الناس قبل دخول معاوية الكوفة فقال: "أيها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" وكرر ذلك حتى ما بقي إلا من بكى حتى سمع نشيجه، ولما دخل معاوية الكوفة قال له قم يا حسن فكلم الناس فيما جرى بيننا فقام الحسن في أمر لم يتروّ فيه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال في بديهته: "أما بعد: أيها الناس فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ألا إن أكيس الكيس التقى وإن أعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه، إما أن يكون أحق به مني وإمَّا أن يكون حقي تركته لله عز وجل ولإصلاح أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحقن دمائكم، ثم التفت إلى معاوية وقال: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾"[1].

قال العلامة الصبان: "ولما نزل عنها أي الخلافة ابتغاء وجه الله تعالى

1- رواه الحاكم والطبراني.

عوضه الله وأهل بيته عنها بالخلافة الباطنية، حتى ذهب قوم أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت، وممن قال يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسي كما نقله عنه تلميذه التاج ابن عطاء الله، وهل أول الأقطاب الحسن أو أول من تلقى القطبانية من المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء مدة حياتها، ثم انتقلت منها إلى أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، عليّ، ثم الحسن؟، ذهب إلى الأول أبو العباس المرسي، وإلى الثاني أبو المواهب التونسي كما في طبقات المناوي.

ورأيت في شرح المناوي الكبير على الجامع الصغير ما نصه: قال الحرالي: سلسلة أهل الطريق تنتهي من كل وجه من جهة المشايخ والمريدين إلى أهل البيت، فجهات طرق المشايخ ترجع عامتها إلى تاج العارفين أبي القاسم الجنيد، وبداية أبي القاسم أخذها من خاله السرى، والسرى ائتم بمعروف، وكان معروف مولى عليّ بن موسى الرضى وهو عن آبائه رضي الله تعالى عنهم، فرجع الكل إلى عليّ كرم الله وجهه﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ ا.هـ. ثم ذكر من كلامه رضي الله عنه: المروءة العفاف، وإصلاح الحال، الإخاء المواساة في الشدة والرخاء، الغنيمة الباردة، الرغبة في التقوى، وكان يقول لبنيه وبني أخيه: "تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم".

ولما احتضر قال لأخيه الحسين رضي الله عنه: "يا أخي أوصيك أن لا تطلب الخلافة فإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، فإياك

أن يستخفك سفهاء الكوفة ويخرجوك فتندم حيث لا ينفعك الندم".

وأخرج بن سعد عن سعيد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: تفاخر قوم من قريش فذكر كل رجل ما عنده، فقال معاوية للحسن بن عليّ رضي الله عنهما: ما يمنعك من القول؟ فما أنت بكليل اللسان، فقال: ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة إلا ولي محضها ولبابها، ففيم الكلام وقد سبقت مبرزاً؟.

وفي المسامرات للشيخ الأكبر قال معاوية يوماً وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بأكرم الناس أباً وأماً وعماً وعمةً وخالاً وخالةً وجدّاً وجدةً، فقام مالك بن عجلان وأومأ إلى الحسن عليه السلام فقال: ها هو ذا أبوه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجدته خديجة بنت خويلد، وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمه جعفر الطيار في الجنة، وعمته أم هانئ بنت أبي طالب، وأخواله وخالاته أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسكت القوم ونهض الحسن، فقام رجل من بني سهم وقال أنت أمرت ابن عجلان على مقالته؟ فقال ابن عجلان: ما قلت إلا حقاً، وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلا لم يعط أمنيته في دنياه، وختم له بالشقاء في آخرته، بنو هاشم أنضركم عوداً وأوراكم زنداً كذلك يا معاوية؟ فقال معاوية: اللّهُمَّ نعم.

توفي الحسن رضي الله عنه مسموماً سنة خمسين على أحد الأقوال، ودفن في البقيع رضي الله عنه.

فائدة:

قال الحافظ السيوطي في (تاريخ الخلفاء): أخرج البيهقي، وابن عساكر من طريق أبي المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال: أضاق الحسن بن علي رضي الله عنه وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في إحدى السنين فأضاق إضاقة شديدة، قال: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبت، وشكوت إليه تأخر المال عني، فقال أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟ فقلت نعم يا رسول الله، فكيف أصنع؟ فقال: قل اللّٰهُمَّ اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللّٰهُمَّ وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا رب العالمين، قال فوالله ما ألححت به أسبوعاً، حتى بعث إلي معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه.

فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله، وحدثته بحديثي فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرجِ المخلوق.

فضائل أبو عبد الله الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته رضي الله عنه

ولد في شعبان سنة أربع من الهجرة، قال جعفر بن محمد: لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلا طهر واحد، وقيل خمسون ليلة، وحنكه صلى الله عليه وآله وسلم بريقه، وأذن في أذنه وتفل في فمه ودعا له، وسماه حسيناً يوم السابع، وعق عنه، كان شجاعاً مقداماً من حين كان طفلا قاله في الإسعاف، وذكر في فضله جملة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (حسين مني وأنا من حسين، اللّٰهُمَّ أحب من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط)"[1]"، وقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ سَرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة)، وفي لفظ (إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن عليّ)"[2]"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلس في المسجد فقال: (أين لكع، فجاء الحسين يمشي حتى سقط في حجره فجعل أصابعه في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففتح صلى الله عليه وآله وسلم فمه أي الحسين فأدخل فاه في فيه ثم قال: اللّٰهُمَّ إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه)"[3]"، وعنه أيضاً قال:

1- راه أحمد والترمذي وابن ماجه والطبراني.

2- رواه ابن حبان في صحيحه.

3- رواه البخاري في قصة سيدنا الحسن رضي الله عنه.

(رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة)، وعنه أيضا: (كان الحسين أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان ابن عمر جالساً في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلا فقال: "هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم"[1].

وحجَّ رضي الله عنه خمساً وعشرين حجة ماشياً، وكان فاضلا كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها قاله ابن الأثير وغيره.

قالوا وكان رضي الله عنه كارهاً لما فعله أخوه من تسليم الأمر إلى معاوية فقال له: "أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك"، فقال له الحسن: "اسكت أنا أعلم بهذا الأمر منك"[2].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة): "كانت إقامة الحسين بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة، فشهد معه الجمل، ثم صفين، ثم قتال الخوارج، وبقي معه إلى أن قتل، ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر لمعاوية، فتحول مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية فخرج إلى مكة ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فأخذ بيعتهم وأرسل إليه فتوجه فكان من قضية قتله ما كان".

1- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بقصة لعمرو بن العاص.

2- رواه ابن الأثير في أسد الغابة.

قال عمار بن معاوية الذهبي: قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسن: حدثني عن مقتل الحسين حتى كأني أحضره؟ قال: "مات معاوية والوليد بن عقبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن علي ليأخذ بيعته ليلته، فقال: أخرني وارفق بي فخرج إلى مكة فأتاه رسل أهل الكوفة: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي فأقدم علينا، قال: وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة، فبعث الحسين بن علي إليهم مسلم بن عقيل فقال: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلي فإن كان حقاً قدمت إليهم، فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين، فمرا به في البرية فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين فقدم مسلم الكوفة فنزل على رجل يقال له عوسجة، فلما علم أهل الكوفة بقدومه دبوا إليه فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير فقال: إنك ضعيف أو مستضعف قد فسد البلد، فقال له النعمان: لئن أكن ضعيفاً في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قوياً في معصيته ما كنت لأهتك ستراً، فكتب الرجل بذلك إلى يزيد فدعا يزيد مولى له يقال له سرحون فاستشاره فقال له: ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله وكان همَّ بعزله عن البصرة فكتب إليه برضاه عنه وأنه قد أضاف إليه الكوفة، وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل فإن ظفر به قتله، فأقبل عبيد الله بن زياد في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً، فلا يمر على أحد فيسلم عليه إلا قال له أهل المجلس: عليك

السلام يا ابن رسول الله، يظنونه الحسين بن علي قدم عليهم، فلما نزل عبيد الله القصر دعا مولى له، فدفع إليه ثلاثة آلاف درهم فقال اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايعه أهل الكوفة فادخل عليه وأعلمه أنك من حمص وادفع إليه المال وبايعه، فلم يزل المولى يتلطف حتى دلوه على شيخ يلي البيعة، فذكر له أمره فقال: لقد سرني أن هداك الله وساءني أن أمرنا لم يستحكم ثم أدخله على مسلم بن عقيل، فبايعه ودفع له المال، وخرج حتى أتى عبيد الله، فأخبره وتحول مسلم حين قدم عبيد الله من تلك الدار إلى دار أخرى، فأقام عند هانئ بن عروة المرادي، وكان عبيد الله قال لأهل الكوفة: ما بال هانئ بن عروة لم يأتني؟ فخرج إليه محمد بن الأشعث في أناس من وجوه أهل الكوفة، وهو على باب داره فقالوا له إن الأمير قد ذكرك واستبطأك فانطلق إليه فركب معهم، حتى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده شريح القاضي، فلما سلم عليه قال له: يا هانئ أين مسلم بن عقيل ؟ فقال: لا أدري، فأخرج إليه المولى الذي دفع الدراهم إلى مسلم، فلما رآه سقط في يده وقال: أيها الأمير والله ما دعوته إلى منزلي ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ فقال: ائتني به فتلكأ فاستدناه، فأدنوه منه فضربه بالقضيب، وأمر بحبسه فبلغ الخبر قومه، فاجتمعوا على باب القصر، فسمع عبيد الله الجلبة فقال لشريح القاضي: اخرج إليهم فأعلمهم إنما حبسته لأستخبره عن خبر مسلم ولا بأس عليه، فبلغهم ذلك فتفرقوا ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع إليه أربعون ألفاً من

أهل الكوفة فركب وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة، فجمعهم عنده في القصر، فأمر كل واحد منهم أن يشرف على عشيرته، فيردهم فكلموهم، فجعلوا يتسللون فأمسى مسلم وليس عنده إلا عدد قليل منهم، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً فلما بقي وحده تردد في الطرق بالليل فأتى باب امرأة فقال لها: اسقيني ماء فسقته فاستمر قائماً فقالت: يا عبد الله إنك مرتاب فما شأنك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم ادخل فدخل وكان لها ولد من موالي محمد بن الأشعث فانطلق إلى محمد بن الأشعث فأخبره، فلم يفجأ مسلماً إلا الدار قد أحيط بها، فلما رأى ذلك خرج بسيفه يدفعهم عن نفسه، فأعطاه محمد بن الأشعث الأمان فأمكن من يده فأتي به عبيد الله، فأمر به فأصعد إلى القصر ثم قتله، وقتل هانئ بن عروة وصلبهما، فقال شاعرهم في ذلك أبياتاً منها:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هانئ في السوق وابن عقيل

ولم يبلغ الحسين ذلك حتى كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمي، فقال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيراً، وأخبره الخبر فهم أن يرجع وكان معه إخوة مسلم فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فساروا وكان عبيد الله قد جهز الجيش لملاقاته، فوافوه بكربلاء فنزلها ومعه خمسة وأربعون نفساً من الفرسان ونحو مائة راجل، فلقيه الجيش وأميرهم عمرو بن سعيد بن أبي وقاص، وكان عبيد الله ولاه

الري وكتب له بعهده عليها إذا رجع من حرب الحسين، فلما التقيا قال له الحسين: اختر مني إحدى ثلاث: إما أن ألحق بثغر من الثغور، وإما أن أرجع إلى المدينة، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فقبل ذلك عمرو منه وكتب به إلى عبيد الله فكتب إليه لا أقبل منه حتى يضع يده في يدي فامتنع الحسين، فقاتلوه فقتل أصحابه وفيهم سبعة عشر شاباً من أهل بيته، ثم كان آخر ذلك أن قتل وأتي برأسه إلى عبيد الله فأرسله ومن بقي من أهل بيته إلى يزيد، ومنهم علي بن الحسين كان مريضاً ومنهم عمته زينب، فلما قدموا على يزيد أدخلهم إلى عياله، ثم جهزهم إلى المدينة.

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق هذه القصة قلت: "وقد صنف جماعة من القدماء في مقتل الحسين تصانيف فيها الغث والسمين والصحيح والسقيم، وفي هذه القصة التي سقتها غنى".

قال: وقد صح عن إبراهيم النخعي أنه كان يقول: لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم أدخلت الجنة لاستحيت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما هذا؟ قال: (هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فكان ذلك اليوم الذي قتل

فيه)"[1]، وعن أم سلمة رضي الله عنها "أنها سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي"[2]، قال الزبير بن بكار: "قتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدى وستين"، قال ابن الأثير: "وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وقيل يوم السبت".

قال في الإسعاف: وكان أكثر مقاتليه الكاتبين إليه والمبايعين له، وقيل أن قاتله سنان بن أنس النخعي أو غيره لما أتى ابن زياد أنشده:

أوقـــر ركابي فضـــةً وذهبـــا
إني قتلـــت الملـــك المحجبـــا
قتلـــت خـــير النـــاس أمـــاً وأبـــاً
وخـــيرهم إذ يـــذكرون نســـبا

فغضب عليه وضرب عنقه.

قال: وفي قصة قتله تصديق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو مخزوم)"رواه الحاكم"، وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين، جهز إليه المختار بن عبيد جيشاً تحت رئاسة إبراهيم بن الأشتر النخعيّ، فقتله إبراهيم بنفسه في الحرب وبعث برأسه الخبيث إلى المختار، فبعث به المختار إلي ابن الزبير، فبعثه ابن الزبير إلي عليّ بن الحسين.

1- ذكرها ابن حجر في تهذيب التهذيب.

2- رواه الطبراني.

وروى الترمذي أنه لما جيء برأسه ونصب في المسجد مع رؤوس أصحابه، جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة، ثم خرجت فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً.

أخرج الحاكم وصححه على شرط مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إني قتلت بيحيي بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا).

قال العلامة الصبان: "إن الإمام أحمد يقول بكفر يزيد وناهيك به ورعاً وعلماً يقتضيان أنه لم يقل ذلك إلا لما ثبت عنده من أمور صريحة وقعت منه توجب ذلك، ووافقه على ذلك جماعة كابن الجوزي وغيره، وأما فسقه فقد أجمعوا عليه، وأجاز قومٌ من العلماء لعنه بخصوص اسمه" انتهى.

وسئل ابن الجوزي كيف يطلق على يزيد أنه قاتل الحسين مع أنه كان في الشام حين وقوع القتل بكربلاء فأنشد:

سهم أصاب وراميه بذي سلم

من بالعراق لقد أبعدت مرماك

قال ابن الأثير: وأكثر الناس مراثيه، فمما قيل فيه ما قاله سليمان بن قبة الخزاعي:

مـــــــــررت على أبيـــــــــات آل محمـــــــــد
فلـــــــم أر أمثالهـــــــا حـــــين حلـــــــت
فــــــلا يبعــــــد الله البيــــــوت وأهلهــــــا
إن أصـــــبحت مــــنهم بــــرغمي تخلـــــت
وكانـــــوا رجــــــاء ثـــــم عادوا رزيـــــة
لقــــد عظمـــــت تلـــك الرزايــــا وجلـــت
أولئــــك قــــوم لــــم يشـــيموا ســـيوفهم
ولـــم تنـــك في أعـــدائهم حـــين ســـلت
وإن قتيـــــل الطـــــف مـــــن آل هاشـــــم
أذل رقــــــابَ المســـــــلمين فـــــــذلت
ألـــم تــــر أن الأرض أضـــحت مريضـــةً
لفقــــد حســـــين والبـــــلاد اقشـــــعرت
وقــــد اعولـــت تـــبكي الســـماء لفقـــده
وأنجمهــــا ناحــــت عليـــه وصـــــلت

ما ورد في فضل الحسنين معاً رضي الله عنهما

عن عليّ رضي الله عنه وكرم وجهه قال: لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أروني ابني ما سميتموه؟) ، قلنا حرباً قال: (بل هو حسن) ، فلما ولد الحسين سميته حرباً فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أروني ابني ما سميتموه؟) قلنا حرباً قال: (بل هو حسين)، فلما ولد الثالث سميته حرباً فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أروني ابني ما سميتموه؟) قلنا حرباً قال: (بل هو محسن) ثم قال: (سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر)"[1]، وعن عمران بن سليمان قال: "الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية"، وعن ابن الأعرابي عن المفضل قال: "إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمَّى بهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنيه الحسن والحسين"، وعن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا)"[2]، وعن عليّ رضي الله عنه قال: "الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين الصدر إلي الرأس، والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1- رواه أحمد والطبراني وابن حبان.

2- رواه البخاري.

ما كان أسفل من ذلك"[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله يقول: (هي حسن) قالت فاطمة: لم تقول هي حسن؟ قال: (إن جبريل يقول هي حسين)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلّا ابني الخالة عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام) وفي رواية: (وأبوهما خير منهما)"[2]، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: طرقت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج إلي وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو؟ فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه، فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: (هذان ابناي وابنا بنتي، اللّهُمَّ إني أحبهما وأحب من يحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)"[3]، وعن أبي بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: (صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي

1- رواه أحمد والترمذي.

2- رواه النسائي والطبراني وابن حبان.

3- رواه ابن حبان.

ورفعتهما)"[1]، وعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه حسن وحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة، وهذا مرة حتى انتهي إلينا فقال: (من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني)"[2]، وعن عبد الله بن مسعود: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما فإذا قضى الصلاة وضعهما في حجره فقال: (من أحبني فليحب هذين)"[3]، وعن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم: سئل أيّ أهل بيتك أحب إليك؟ فقال: (الحسن والحسين)"[4]، وعن فاطمة رضي الله عنها أنها أتت بهما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله هذان ابناك، فورثهما شيئاً فقال: (أما حسن فله هيبتي وسؤددي، وأما حسين فله جرأتي وجودي)"[5].

1- رواه أحمد وابن حبان.

2- رواه أحمد.

3- رواه النسائي والطبراني وابن حبان وابن خزيمة والبزار وابن أبي شيبة في مصنفه وأبو يعلى.

4- رواه الترمذي.

5- رواه الطبراني.

المقصد الثالث

في الكلام على ما في حبهم وتوابعه من الفوز العظيم وما في بغضهم وتوابعه من المرتع الوخيم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾"[1] القربى: مصدر بمعنى القرابة، وهو علي تقدير مضاف أي ذوي القربى يعنى الأقرباء، وعَبَّر بفي ولم يعبر باللام، لأن الظرفية أبلغ وآكد للمودة.

نقل الإمام السيوطي في الدر المنثور وكثير من المفسرين عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: (عليّ وفاطمة وولدهما).

وفيه عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا، فقال العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم في مجالسهم، فقال: (يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي؟) قالوا بلي يا رسول الله، قال: (أفلا تجيبوني؟) قالوا ما نقول يا رسول الله؟ قال: (ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك؟ أولم يكذبوك فصدقناك؟ أولم يخذلوك فنصرناك؟)، فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله فنزلت: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وعن طاووس قال: سئل عنها ابن عباس فقال: "هي

1- الشورى آية 23.

قربى آل محمد"، وقال المقريزي: "قال جماعة من المفسرين في تفسير الآية قل لمن اتبعك من المؤمنين، لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوا قرابتي"، وعن أبي العالية عن سعيد بن جبير: ﴿إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: هي قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن ابن إسحاق قال: سألت عمرو بن شعيب عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قال: قربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

"**تنبيه**": فإن قيل: طلب الأجر على الوحي لا يجوز لقوله تعالى في قصة كثير من الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾"[1] ورسولنا أفضل منهم فهو أولى بعدم طلب الأجر على الرسالة، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بنفي الطلب فقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾"[2] وقد كان التبليغ واجباً عليه قال تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾"[3]، وطلب الأجر على أداء الواجب لا يليق، كما لا يليق مقابلة الرسالة وهي أشرف الأشياء بمتاع الدنيا، وأيضاً طلب الأجر يوجب التهمة فثبت أنه لا يجوز له صلى الله عليه وآله وسلم طلب الأجر وها هنا قد ذكر ما يجري مجراه وهو المودة في القربى.

أجيب بأن هذا من باب قوله :

1- الشعراء آية 26.

2- ص آية 86.

3- المائدة 67.

ولا عيـــــب فـــــيهم غـــــير أن ســــــيوفهم
بهـــــن فلــــولٌ مــــــن قــــراع الكتائــــــب

يعنى أني لا أطلب منكم إلا هذا وهو ليس أجراً لأن توادّ المسلمين واجب قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾"1"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا)"2"، وإذا كانت المودة واجبة لبعض المسلمين على بعض، فهي في حق أشرف المرسلين وأهل بيته أولى، أو أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله أجراً ثم قال: ﴿إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي لكن أسألكم المودة في القربى، انتهى باختصار من الخطيب والخازن.

وعن السّدّي عن أبي الديلم قال: لما جيء بعليّ بن الحسين أسيراً وأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له عليّ: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: قرأت أل حم؟ قال: قرأت، ولمَ أقرأ أل حم قال: ما قرأت ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: فإنكم لإياهم؟ قال: نعم.

قلت: ما أحسب أن هذا الرجل كان مؤمناً، بلي كان مؤمناً ولكن بالجبت والطاغوت فإن هذا الهذيان لا يصدر عن لسان مؤمن بالله ورسوله، وكيف يستقر الإيمان في قلب رجل يحمد الله على قتل آل

1- التوبة آية 71.

2- رواه مسلم.

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم واستئصالهم، وما أظن أن أبا جهل كان لله ورسوله أعدى من هذا الملحد، ولعلنا لا نعدم في زماننا هذا من هو على شاكلته في الضلال بكراهة أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة فقد رأينا من إذا سمع بذكر مزية امتازوا بها أو منقبة أسندت إليهم، ووصفوا بها من الله أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أو السلف الصالح، أو علماء الأمة وأوليائها يقطب وجهه ويتغير خلقه، ويود بلسان حاله أن تلك المزية لم تكن لهم، وقد يتكلف الأقاويل الواهية والأخبار الموضوعة والآثار المصنوعة ليطفئ بها نور الله ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾"[1]"، ورأيت الزمخشري في الكشاف عند هذه الآية روى حديثاً مطولاً، ونقله عنه الفخر الرازي في الكبير وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم

1- الصف آية 8.

القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة).

قال الفخر: وأنا أقول آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب وقيل هم أمته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً الآل فثبت أنهم على جميع التقديرات الآل، وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه.

وروى صاحب (الكشاف) أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: (علي وفاطمة وابناهما) فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدل عليه وجوه.

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ المودة في القربى﴾.

الثاني: لا شكَّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما

يؤذيها)"[1]"، وثبت بالنقل المتواتر عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾"[2]" ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾"[3]"، ولقوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾"[4]"، ولقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾"[5]".

الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: (اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد)، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم واجب، انتهى.

1- متفق عليه.

2- الأعراف آية 158.

3- النور آية 63.

4- آل عمران آية 31.

5- الأحزاب آية 21.

عبارة الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي في الفتوحات المكية في ودهم واجتناب أذاهم وتحمل الأذى منهم

وقال سلطان العارفين وإمام الصوفية الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في الباب التاسع والعشرين من الفتوحات المكية بعد كلام تقدم نقله في المقصد الأول: "وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً فإن الله تعالى طهرهم، فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه، ولو ظلموه فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في نفس الأمر، وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر يشبه جري المقادير علينا، وعلى من جرت عليه في ماله ونفسه بغرق أو بحرق أو غير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق أو يموت له أحد أحبائه أو يصاب في نفسه وهذا كله مما لا يوافق غرضه، ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضا، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر فإن في طي ذلك نعماً من الله لهذا المصاب وليس وراء ما ذكرناه خير فإن ما وراءه ليس إلا الضجر والسخط وعدم الرضا وسوء الأدب مع الله، فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه، فيقابل ذلك كله بالرضا والتسليم والصبر ولا يلحق المذمة بهم أصلاً، وإن توجهت عليهم الأحكام

المقررة شرعاً فذلك لا يقدح في هذا، بل يجريه مجرى المقادير، وإنما منعنا تعليق الذم بهم إذ ميزهم الله عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم.

وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقترض من اليهود، وإذا طالبوه بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن، وإذا تطاول اليهودي عليه بالقول يقول: (دعوه إن لصاحب الحق مقالاً) ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم في قصة: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1]، وقد أعاذها الله من ذلك رضي الله عنها، فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء وعلى أي حال يشاء، فهذه حقوق الله تعالى ومع هذا لم يذمهم الله.

وإنما كلامنا في حقوقنا وما لنا أن نطالبهم به، فنحن مخيرون إن شئنا أخذنا وإن شئنا تركنا والترك أفضل عموماً، فكيف بأهل البيت وليس لنا ذم أحد؟ فكيف بأهل البيت؟ فإنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه منا، كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى، والمكانة الزلفى، فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما طلب منا عن أمر الله إلا المودة في القربى وفيه سر صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه، فبأي وجه يلقاه غداً، أو يرجو شفاعته وهو ما أسعف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيما طلب منه من المودة في قرابته

1- متفق عليه.

فكيف بأهل بيته، وهم أخص القرابة، ثم أنه جاء بلفظ المودة وهي الثبوت على المحبة، فإنه من ثبت وده في أمر استصحبه في كل حال وإذا استصحبته المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه مما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة وإيثار على نفسه لا لها.

قال المحب الصادق: وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

وقال الآخر:

أحـــــب لأجلهـــــا الســـــودان حـــــتى
أحـــــب لأجلهـــــا ســـــود الـــــكلاب

ولنا في هذا المعنى:

أحـــــب لحبـــــك الحبشـــــان طـــــرا
وأعشـــــق لاســـــمك البـــــدر المنـــــيرا

قيل كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب إليها أعني المجنون، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته، وعند الله لا تورثه القربة من الله، فهل هذا إلا من صدق المحبة وثبوت الود في النفس، فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك، إنه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله، وهم أهل بيت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم

ذكروك بألسنة طاهرة طهرها الله بتطهيره طهارة لا يبلغها علمك، وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أنت محتاج إليه وله عليك المنة حيث هداك الله به، فكيف أثق أنا بودك الذي تزعم به أنك شديد الحب في والرعاية لحقوقي وجانبي وأنت في حق أهل بيت نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم؟ والله ما ذاك إلا من نقص إيمانك ومن مكر الله بك واستدراجه إياك من حيث لا تعلم.

وصورة المكر أن تقول وتعتقد أنك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه وتقول في طلب حقك أنك ما طلبت إلا ما أباح الله لك طلبه، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت وإيثارك نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك.

والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقاً، وتنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك، وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حد أو إنصاف مظلوم، أو ردّ حق إلى أهله، وإن كنت حاكماً ولا بد فَاِسْعَ في استنزال صاحب الحق عن حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت فإن أبى فحينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه، فلو كشف الله لك يا ولي عن منازلهم عند الله في الدار الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم فالله يلهمنا رشد أنفسنا" انتهى كلام الشيخ الأكبر رضي الله عنه ونفعنا به.

ثم قال بعد أسطر: "ومن أسرارهم يعني الأقطاب ما قد ذكرناه من العلم

بمنزلة أهل البيت، وما قد نبه الله على علو رتبتهم في ذلك، ومن أسرارهم علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم مع دعواهم حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسؤاله المودة في القربى وهو صلى الله عليه وآله وسلم من جملة أهل البيت، فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر الله فعصوا الله ورسوله وما أحبوا من قرابته إلا من رأوا منه الإحسان فبأغراضهم أحبوا وبأنفسهم تعشقوا"، انتهت عبارة الشيخ الأكبر رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وبركاته.

ذكر فضل قريش والعرب

واعلم أن حكم مودة أهل البيت بعضهم لبعض كحكم مودة الأجانب لهم في الوجوب بل هي أولى لما فيها من زيادة صلة الرحم، نرجع للآية.

قيل: إن القربى هم ولد عبد المطلب وعليه مشى القسطلاني في المواهب فقال: المراد بالقربى من ينسب إلى جده الأقرب عبد المطلب.

وقال ابن حجر في الصواعق: المراد بأهل البيت والآل وذوي القربى في كل ما جاء في فضلهم مؤمنوا بني هاشم والمطلب، ورجحه الصبان في إسعاف الراغبين وزاد العترة، قال فالألفاظ الأربعة بمعنى واحد كما في المواهب، وقال ابن عطية: قريش كلها عندي قربى وإن كانت تتفاضل، وقال الإمام المقريزي: ويظهر لي أن الخطاب في الآية عام لجميع من آمن، وذلك أن العرب بأسرها قوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين هو منهم،

فيتعين على من سواهم من العجم أن يودوهم ويحبوهم، وقد جاءت في الأمر بحب العرب أحاديث، وإن قريشاً أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سائر العرب فعلى كل عربي أن يوقر قريشاً ويحبهم من أجل أنهم قوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد وردت أحاديث في تفضيل قريش وفي تقديمها على غيرها وأن بني هاشم رهط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسرته، فيجب على من عداهم من قريش محبتهم ومودتهم، وإن علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وذريتهما رضي الله عنهم أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيجب على بني هاشم مودتهم وإكرامهم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾"[1]" انتهي.

قوله: فيجب على بني هاشم مودتهم يعني وتجب على قريش والعرب والعجم، وهكذا التقدير فيما قبله.

وقوله: وقد جاءت في حب العرب أحاديث ثم قوله: وقد وردت أحاديث في تفضيل قريش وتقديمها علي غيرها.

فمما ورد في فضل قريش قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (الناس تبع لقريش في الخير والشر)"[2]"، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من يرد هوان

1- يوسف آية 76.

2- رواه مسلم.

قريش أهانه الله)"[1]"، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فضل الله قريشاً بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم، فضل الله قريشاً بأني منهم، وإن النبوة فيهم، وإن الحجابة فيهم، والسقاية فيهم، ونصرهم الله على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾)"[2]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وإن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)"[3]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (يا أيها الناس لا تذمُّوا قريشاً فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تُعلموها وتَعلموا منها فإنهم أعلم منكم، لولا أن تبطر قريش لأعلمتها بالذي لها عند الله عز وجل)"[4]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أحبوا قريشاً فإنه من أحبهم أحبه الله)"[5]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (حب قريش إيمان، وبغضهم كفر)"[6]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (قدموا قريشاً ولا تَقدموها، ولولا

1- رواه أحمد والحاكم والطبراني.

2- رواه الطبراني.

3- متفق عليه.

4- رواه أحمد.

5- رواه الطبراني والبيهقي في الشعب.

6- رواه الطبراني والبزار.

أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله)"[1]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم، كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح، قريش خالصة الله فمن نصب لها حرباً سلب، ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة)"[2]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً)"[3]"، قال الإمام أحمد وغيره: هذا العالم هو الشافعي، لأنه لم يحفظ لقرشي من انتشار علمه في الآفاق ما حفظ للشافعي.

من مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه

ومن مناقبه رضي الله عنه ما حدث به صالح بن الإمام أحمد بن حنبل قال: جاء الشافعي يوماً إلي أبي يعوده، وكان عليلا فوثب إليه أبي وقبله بين عينيه، ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه، ثم أخذ يسأله ساعة فساعة، فلما قام الشافعي وركب أخذ أبي بركابه ومشى معه فبلغ يحي بن معين ذلك فقال: يا سبحان الله لم فعلت ذلك؟ فقال: إني لو مشيت من جانب وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من جانب آخر لانتفعت به، من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة وأشار إلى بغلة الشافعي رضي الله عنه وعن سائر الأئمة.

1- رواه البزار والبيهقي.

2- رواه المتقي الهندي في كنز العمال.

3- رواه الطيالسي والبيهقي.

أما الأحاديث الواردة في حب العرب وفضلهم، فمنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (حب العرب إيمان وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني)"[1]"، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي)"[2]"، قال المناوي في شرح هذا الحديث: "وهذه الجمل واردة مورد الحث على حب العرب وهو منزل على قيد الحيثية أي من حيث كونهم عرباً، وقد يعرض لهم ما يقتضي الزيادة على هذا الحب باعتبار ما يقوم بهم من وصف الإيمان، والتفاضل فيه بحسب المراتب، وقد يعرض ما يوجب البغض والازدياد منه بحسب ما يعرض لهم من كفر ونفاق، قال سبحانه في شأن قوم منهم: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾"[3]"، فإذا وفق العبد لمحبتهم من حيث كون المصطفي منهم، وأن القرآن أنزل بلغتهم، وأن كلام الرفيق الأعلى بلسانهم، لعذوبته وفصاحته، واستقامته، كان ذلك واسطة في حبه صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا خذل فأبغضهم من الجهات المذكورة كان لازمه بغضه عليه الصلاة والسلام وهو كفر، وإذا أبغضهم من حيث كفرهم أو نفاقهم كان ذلك واجباً، فاستبان أنه قد يجب الحب وقد يجب البغض ويبقى مطلق الحب من الحيثية التي سبق الكلام عليها.

1- رواه الحاكم.

2- رواه الحاكم والطبراني.

3- التوبة آية 97.

واعلم أن ستة من الأنبياء من العرب سيدنا نوح، وسيدنا هود، وسيدنا إسماعيل، وسيدنا صالح، وسيدنا شعيب وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم، وباقيهم من غيرهم" انتهى.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب العرب فهو حبيبي حقاً)"[1]، قال العزيزي: لأنهم هم الذين باعوا أنفسهم لله تعالى، حتى أظهروا الإسلام وأزاحوا ظلمة الكفر، وفي المناوي: "علامة صدق الحب حب كل ما ينسب إلى المحبوب، فإنَّ من يحب إنسانا يحب كلب محلته، فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب، ويحيط به ويتعلق بأسبابه، وذلك ليس شركة في حب الله تعالى، فإن من أحب رسول المحبوب لكونه رسوله وكلامه لكونه كلامه ومن ينتمي إليه لكونه من حزبه لم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل كمال حبه"ا.هـ.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (من سب العرب فأولئك هم المشركون)"[2]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من غشَّ العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي)"[3]، وروى الترمذي عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك)، قلت:

1- رواه البزار عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (حب قريش إيمان وبغضهم كفر من أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني)

2- رواه البيهقي في الشعب.

3- رواه أحمد والترمذي.

يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: (تبغض العرب فتبغضني)، وعن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يبغض العرب إلا منافق)"[1]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لواء الحمد بيدي يوم القيامة وإن أقرب الخلائق من لوائي يومئذ العرب)"[2]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا ذلت العرب ذل الإسلام)"[3]"، قال المناوي: "أي أهله أو نفسه، لأن شؤم ذلك يعود على الدين بالوهن والضعف، وذلك لأن أصل الإسلام نشأ منهم وبهم ظهر وانتشر فإذا ذلوا ذل أي نقص، ولأن الإسلام لا يصلح وينتظم حاله إلا بالجود والسماحة واللين والمودة والرفق وتجنب البخل والضيق والعجلة والحقد والحرص، والعرب سهلة نفوسها كريمة طباعها زكية أخلاقها لا ينكر ذلك إلا معاند ولا يجحده إلا مارد، فإذا كانوا في عز فالإسلام في عز وإن ذلوا ذل، فبتلك الخلال فضلوا لا باللسان العربي فحسب، ومعنى إذا ذلت: أي ضعف أمرها وهان قدرها وظلموا وازدروا واحتقروا وفضل عليهم غيرهم" انتهي.

وقال في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (حب العرب إيمان وبغضهم نفاق)، أي إذ أحبهم إنسان كان حبهم آية إيمانه، وإذ أبغضهم كان بغضهم علامة نفاقه، لأن هذا الدين نشأ منهم، وكان قيامه بسيوفهم وهممهم،

1- رواه أحمد.

2- رواه البيهقي.

3- رواه أبي يعلى في مسنده.

والظاهر من حال من أبغضهم أنه إنما بغضهم لذلك وهو كفر.

وقد اطلعت على كتاب (سر الأدب في مجاري كلام العرب) لأبي منصور الثعالبي، فوجدته ذكر في خطبته كلاما يناسب ما نحن فيه.

قال رحمه الله بعد البسملة والحمدلة "أما بعد، فإن من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب اللغة العربية عنى بها وثابر عليها، وصرف همه إليها ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه قوة بصيرة، وحسن سريرة، اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومصباح التفقه في الدين، ومفتاح إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءات والمناقب كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان لكفى به فضلاً يحسن أثره ويطيب ثمره، فكيف وأيسر ما خصه الله به من ضروب المناقب، وفنون المحاسن، يكل أقلام الكتبة ويتعب أنامل الحسبة"ا.هـ.

تنبيه: اعلم أن جميع ما ورد عن الشارع مما فيه وصف المبغض لقريش أو

للعرب أو لأهل البيت أو سابهم أو الغاش لهم بالكفر أو النفاق ونحوهما، فهو محمول على ما إذا كان ذلك لكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وكونهم جنسه، وحزبه، وأهل بيته، أما إذا كان البغض ونحوه لمعنى آخر لا تَعلق له بالجنسية والحزبية والأهلية، فقد يختلف حكمه كما يفهم من شروح الحديث وغيرها، بل هو أمر معلوم من قواعد الدين.

قال ابن تيمية في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله اصطفي كنانة من ولد إسماعيل، واصطفي قريشاً من كنانة، واصطفي من قريش بني هاشم)"[1]: "أفاد الخبر أن العرب أفضل من جنس العجم، وأن قريشاً أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بني هاشم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الناس نفساً ونسباً، وليس فضل العرب فقريش فبني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم وإن كان هذا من الفضل بل لهم في أنفسهم فضل، وبذلك يثبت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور" انتهي.

أقول: إذا علمت هذا فاعلم أن جميع ما ورد في تفضيل العرب والإغراء بمحبتهم وإكرامهم والتحذير من كراهتهم وأذاهم بالسب والغش ونحوهما هو شامل لقريش لأنهم صفوة العرب وأن جميع ذلك كالوارد في

1- متفق عليه.

خصوص قريش شامل لبني هاشم لأنهم صفوة قريش وما ورد في بني هاشم فمن فوقهم شامل لأهل البيت سواء، قلنا: هم بنو عبد المطلب أو خصوص عليّ وفاطمة والحسن والحسين لأنهم صفوة الصفوة وخلاصة الخلاصة وخيرة الخيرة ولا ينعكس ذلك، فقد اختص أهل البيت بمزايا لم توجد في بني هاشم واختص بنو هاشم بمناقب عريت منها قريش واختصت قريش بفضائل فقدها سائر العرب.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، أقوال أخرى: منها ما ذكره الطبري بقوله معناه: قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم، قال ابن عباس وابن إسحاق وقتادة: لم يكن في قريش بطن إلا ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم نسب أو صهر، فالآية على هذا استعطاف لدفع أذاهم وطلب السلامة منهم، وقد علمت من النقول المتقدمة أن كونها في ذوي قرابته صلى الله عليه وآله وسلم هو الراجح وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وبنوهما إلي يوم القيامة داخلون على كل حال سواء جرينا على القول بأنها فيهم خاصة أو أنها في مؤمني بني عبد المطلب أو في مؤمني بني هاشم.

1- الشورى آية 23.

فصل
في التحريض على مودة أهل البيت وحبهم رضي الله عنهم

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ قال: "المودة لآل محمد"، وعنه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي)[1]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: (حب آل محمد يوماً خير من عبادة سنة)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (خيركم خيركم لأهلي من بعدي)[2]، وأخرج الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته، وأهلي أحب إليه من أهله، وذاتي أحب إليه من ذاته)، وقال عليه الصلاة والسلام: (يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين)، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا)[3]، وقال صلى الله

1- رواه الترمذي والحاكم.

2- رواه الحاكم.

3- رواه الطبراني.

عليه وآله وسلم: (من أراد التوسل وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم) أخرجه الديلمي، وعن عليّ رضي الله عنه أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، فقلت يا رسول الله فمحبونا؟ قال من ورائكم)"[1]"، وأخرج الإمام أحمد أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسنيين وقال: (من أحبني وأحب هذين وأمهما وأباهما كان معي في درجتي يوم القيامة) والمراد معية المشاهدة لا معية المنزلة.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من اصطنع لأحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فعليّ مكافئته غداً يوم القيامة إذا لقيني) أخرجه الطبراني مرفوعاً، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه)"[2]"، وأخرج ابن النجار في تاريخه عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لكل شيء أساس وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحب أهل بيته)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزول

1- رواه الحاكم.

2- ذكره المتقي الهندي كنز العمال.

قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه، ومن أين كسبه، وعن حبنا أهل البيت)، وأخرج الديلمي عن عليّ رضي الله عنه: (أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي وأصحابي)، وفي الصحيح أن العباس رضي الله عنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تفعل قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضباً شديداً حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه، وقال: (ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم مني)، وفي رواية: (والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله)"[1]"، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خمس من أوتيهن لم يعذر على ترك عمل الآخرة، زوجة صالحة، وبنون أبرار، وحسن مخالطة الناس، ومعيشة في بلده، وحب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم)"[2]"، وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر قال: آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اخلفوني في أهل بيتي)، وعن عليّ كرم الله وجهه قال: "أَدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة

1- رواه الحاكم وابن ماجه.

2- ذكره المتقي الهني في كنز العمال وعزاه إلى الديلمي.

القرآن"[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لله حرمات ثلاثاً من حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه، ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيئاً)، قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: (حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي)[2]، وقد جرى على كمال مودتهم أكابر السلف والخلف وسيدهم أبو بكر الصديق، فقد ثبت عنه رضي الله عنه أنه قال: "صلة قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليّ من صلة قرابتي"، وأخرج البخاري عنه رضي الله عنه قوله: "ارقبوا محمداً في أهل بيته"، قال ابن علان في شرح رياض الصالحين: "قال المصنف يعني الإمام النووي ارقبوا أي راعوه واحترموه وأكرموه"ا.هـ.

1- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث.

2- رواه الطبراني.

ذكر موالاة الأئمة الأربعة لهم رضي الله عنهم أجمعين

وقال المناوي: "قال الحافظ الزرندي: لم يكن أحد من العلماء المجتهدين، والأئمة المهتدين إلا وله في ولاية أهل البيت الحظ الوافر، والفخر الزاهر، كما أمر الله بقوله: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾"[1] ا.هـ.

قلت: وإنما قَيَّد الحافظ بالعلماء المجتهدين والأئمة المهتدين، لأنهم قدوة الأمة، فإذا كانت هذه صفتهم فلا ينبغي لمؤمن أن يتخلف عنهم، فإن وصف الإيمان كاف لوجوب مودة أهل البيت رضي الله عنهم، وبقدر زيادته تكون زيادتها، ومن هنا كان للعلماء المجتهدين والأئمة المهتدين في موالاتهم الحظ الوافر والفخر الزاهر.

هذا الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه والى إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثني بن الحسن السبط رضوان الله عليهم، وأفتى الناس بلزوم وجودهم معه ومع أخيه محمد، وقيل إن سجنه رضي الله عنه كان في الباطن لهذا السبب، وفي الظاهر لامتناعه عن القضاء.

وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه والى إبراهيم بن زيد بن عليّ زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم، وأفتى الناس بلزوم وجودهم معه واختفى من أجله عدة سنين، وقيل: أن الذي والاه الإمام

1- الشورى آية 23.

مالك هو محمد أخو إبراهيم بن عبد الله المحض رضي الله عنهم الذي والاه الإمام أبو حنيفة.

ولا أحفظ عن الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضي الله عنه شيئاً مخصوصاً في ذلك غير أنه مع كمال ورعه ودقة نظره قال بكفر يزيد بن معاوية وجواز لعنه وما ذاك إلا لولائه لآل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مع ما ثبت عنده من الدليل.

أما الإمام القرشي ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، فقد حمل إلى بغداد مكبلاً بالقيود بسبب شدة ولائه لآل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ووقع له في ذلك أمور يطول شرحها بل بلغ معه الحال في محبتهم إلى أن نسبه أهل الزيغ والضلال إلى الرفض، وحاشاه ثم حاشاه.

وروى ابن السبكي في طبقاته بسنده المتصل إلي الربيع بن سليمان المرادي صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منى فلم ينزل وادياً ولم يصعد شعباً إلا وهو يقول:

يـــا راكبـــاً قـــف بالمحصـــب مـــن مـــنى
واهتـــــف بقاعـــــد خيفهـــــا والنـــــاهض
ســـــحراً إذا فـــاض الحجـــيج إلى مـــنى
فيضـــــاً كملـــــتطم الفـــــرات الفـــــائض

إن كان رفضـــــــاً حـــــب آل محمـــــــد
فليشـــــــهد الثقـــــلان أني رافضـــــــي

وقد نص رضي الله عنه على فريضة محبتهم بقوله:

يـــــا آل بيـــــت رســـول الله حـــبكم
فـــــرض مـــــن الله في القـــرآن أنــــزله
يكفـــيكم مـــن عظـــيم الفخـــر أنكـــم
مـــن لـــم يصـــلّ علـــيكم لا صـــلاة له

قال الصبان: أي صلاة كاملة أو صحيحة على قول مرجوح للشافعي وقوله: في القرآن أنزله هو قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، فانظر وفقنا الله وإياك إلى هؤلاء الأئمة وهداة الأمة واقف آثارهم في محبة أهل بيت النبوة رضي الله عنهم، فإنك إن كنت مسلماً سنياً لا تخلو من أن تكون مقلداً في أمر دينك أحد هؤلاء الأئمة الأربعة الأعلام ومع كونهم رضي الله عنهم اختلفوا في كثير من المسائل كما ترى، وإن كنت أيها الناظر في كتابي هذا يزيديَّاً أو زياديَّاً فانظر إلى سيرة أسلافك اللئام تجدها سيرة أهل النار، وتصفح أخبارهم تجدها أخبار عار وشنار، فإن كنت عاقلاً فلابد وأن تعلم أنهم كانوا على أقبح ضلاله، وأفضح جهاله، فتكون على خلاف ما كانوا عليه تدخل الجنة دار المتقين،

1- الشورى آية 23.

وتحشر في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن أبيت إلا مشاركة سلفك في السعير، وبئس المصير، فالزم طريقتهم تفز بما فازوا به من السبق إلى غايات الضلال، ويحق عليك كما حق عليهم الهلاك والوبال، وتسحب إلى الجحيم كما سحبوا بالسلاسل والأغلال، ولا محيد لك عن إحدى هاتين الدارين فاختر منهما ما تختار، فليس ثمة إلا الجنة أو النار.

نقل عبارات الإمام الشعراني في تعظيمهم ومودتهم رضي الله عنهم

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في (المنن): "ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ كثرة تعظيمي للشرفاء وإن طعن الناس في نسبهم، وأرى ذلك التعظيم من بعض ما يستحقونه عليّ، وكذلك أولاد العلماء والأولياء وتعظيمهم وإكرامهم بطريقه الشرعي، ولو كانوا على غير قدم الاستقامة ثم من أقل ما أعامل به الشريف في الإجلال والتعظيم أن أعامله مثل ما أعامل نائب أي والي مصر أو قاضي العسكر.

ومن جملة الأدب مع الشرفاء أن لا يجلس أحدنا على فرش أو مرتبة أو صفة والشريف بضد ذلك، وأن لا نتزوج لهم مطلقة أو زوجة ماتوا عنها، وكذلك لا نتزوج شريفة إلا إن كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وأن يعمل على رضاها، فلا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا نقتر عليها في المأكل والملبس دون قدرتنا ونقول: إن جدك رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم اختار ذلك وكذلك لا نمنعها شهوة مباحة سألتنا فيها ونقدم لها نعلها إذا قامت واحتاجت، ونقوم لها إذا وردت علينا لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك لا ننظر لها بدناً ولو لبيع وشراء إلا إن تعين ذلك علينا شرعاً، ولا ننظر رجلها إذا كان أحدنا بائع أخفاف، ولا نمعن النظر إليها في الإزار إذا مرت علينا فإن ذلك يغضب جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

وقال رضي الله عنه ونفعنا ببركاته في كتابه (البحر المورود في المواثيق والعهود): "أخذ علينا العهود أن لا نتزوج قط شريفة إلا إن كنا نعد أنفسنا من خدامها لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن كان يرى نفسه رقيقاً لها ويعتقد أنه متى خرج عن طاعتها أبق وأساء فليتزوج ومن لا فلا ينبغي له ذلك ويقال لمن تزوجها للتبرك السلامة مقدمة على الغنيمة، لا سيما إن تزوج عليها أو تسرى أو آذاها ببخله وشُحِّه، ويمكن المؤمن التبرك بها بالإحسان إليها من غير تزوج".

وبالجملة فلا يقدر على القيام بحق الشريفة وإكرامها إلا من ماتت نفسه، وصح له مقام الزهد في الدنيا وباشر الإيمان قلبه بحيث صار أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليه من أهله وولده وماله، فإن كل شيء يؤذي الشرفاء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان سيدي علي الخواص ينهى من ينظر للشريفة وهي في الإزار والنقاب والخف ويقول للرائي: أنت لو رأيت شخصاً يمعن النظر إلي بنتك في الإزار

أما كنت تتشوش فكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قلت: وينبغي للمتدين إذا بايع الشريفة أو فصدها أو داواها أن لا يفعل ذلك إلا وهو في غاية الخجل والحياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا سيما بائع الأخفاف، وإن كنت يا أخي ممن يشدد في العمل بفروع الشريعة وأنه لا بد لك من رؤيتها لتشهد عليها مثلاً فاستأذن بقلبك صاحب الشرع وانظر، وإن كنت يا أخي كامل المحبة لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأهد إليهم ما يريدون يشترونه منك.

ثم قال رضي الله عنه: "أخذ علينا العهود إذا كان لنا بنت أو أخت لها جهاز كبير وخطبها شريف فقير لا يملك غير مهرها وقوت يومه وليلته أن نزوجه ولا نرده، وذلك أن الفقر ليس بعيب نرد به الخطبة بل هو شرف، وقد تمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل سأل ربه عز وجل أن يحشره في زمرة الفقراء والمساكين وقال: (اللّٰهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتاً)، أي لا يفضل منه شيء في غداء ولا عشاء، فشيء اختاره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذريته وأهل بيته هو غاية الشرف ومن رد شريفاً فقيراً طلب تزويج ابنته يخاف عليه من المقت، والله غني حميد.

وكذلك أخذ علينا العهود إذا مررنا على شريف أو شريفة على قوارع الطريق يسألان الناس أن ندفع لهما ما نقدر عليه من الدراهم أو الطعام أو الثياب أو نعرض عليهم الإقامة عندنا لنقوم لهم بالكفاية الشرعية، حيث استطعنا ذلك، ويقبح على من يدعي محبة رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم أن يمر على أولاده وهم على قوارع الطرق يسألون الناس فلا يعطيهم شيئاً والله غفور رحيم". انتهى كلامه رضي الله عنه بحروفه.

وأخرج الملا في سيرته أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه الله، ومن أخصمه الله أدخله النار)، وفي الصحيح: أن بنت أبي لهب لما هاجرت إلي المدينة قيل لها لن تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد غضبه، ثم قال على المنبر: (ما بال أقوام يؤذوني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أخرجه كثير من أهل السنن.

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً: سألته أن يثبت قائمكم، وأن يعلم جاهلكم، ويهدي ضالكم، فلو أن رجلاً صعد بين الركن والمقام فصلى وصام، ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخل النار)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس: (بغض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق)، وأخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من لم يعرف عترتي والأنصار فهو لأحد ثلاث: إما منافق وإما لزنية وإما لغير طهر) يعني حملته أمه على غير طهر.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته، وهو يقول: (أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار) رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين.

وعن عليّ رضي الله عنه وكرم وجهه أنه قال لمعاوية: إياك وبغضنا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار)"رواه الطبراني".

وروى أحمد مرفوعاً: (من أبغض أهل البيت فهو منافق)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي)، وقال عليه الصلاة والسلام: (سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب وعد منهم صلى الله عليه وآله وسلم المستحل من عترته ما حرم الله).

فصل
في جملة آثار وقصص في إكرام السلف الصالح وغيرهم لهم رضي الله عنهم

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة): "قال يحي بن سعيد الأنصاري عن عبيد بن حنين: حدثني الحسين بن علي قال: أتيت عمر، وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك فقال عمر: لم يكن لأبي منبر وأخذني فأجلسني معه أقلب حصى بين يدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله ثم قال لي: لو جعلت تغشانا، قال: فأتيته يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب، فرجع ابن عمر، فرجعت معه، فلقيني بعد فقال لي: لم أرك؟ قلت: يا أمير المؤمنين إني جئت وأنت خال بمعاوية، فرجعت مع ابن عمر فقال: أنت أحق من ابن عمر، فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم"، قال الحافظ سنده صحيح.

وروى أبو الفرج الأصفهاني من طريق عبيد الله بن عمر القواريري قال: حدثنا يحي بن سعيد عن سعيد بن أبان القرشي، قال: دخل عبد الله بن حسن بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن له وفرة فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها، حتى أوجعه وقال: اذكرها عندك للشفاعة، فلما خرج لامه قومه وقالوا: فعلت هذا بغلام حدث فقال: إن الثقة حدثني حتى كأني أسمعه من فيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها).

وأنا أعلم أن فاطمة رضي الله عنها لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها قالوا فما معنى غمزك بطنه، وقولك ما قلت؟ قال: أنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

وروي عن عبد الله هذا قال: أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي: إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله أن أراك على بابي.

وروي أن الإمام مالكاً لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشياً عليه ودخل عليه الناس فأفاق فقال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل، فسئل بعد ذلك فقال: خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي.

وقيل: إن المنصور أقاده من جعفر فقال له: أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحدث الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه في كتابه (مسامرات الأخيار) بسنده المتصل إلى عبد الله بن المبارك، قال: "كان بعض المتقدمين قد حبب إليه الحج قال: فحدثت أنه ورد الحاج في بعض السنين إلى بغداد فعزمت على الخروج معهم إلى الحج، فأخذت في كمي خمسمائة دينار، وخرجت إلي السوق لأشتري آلة الحج، فبينما أنا في بعض الطريق عارضتني امرأة فقالت: يرحمك الله إني امرأة شريفة، ولي بنات

عراة واليوم الرابع ما أكلنا شيئاً، قال فوقع كلامها في قلبي فطرحت الخمسمائة دينار في طرف إزارها وقلت عودي إلى بيتك فاستعيني بهذه الدنانير على وقتك، فحمدت الله وانصرفت ونزع الله عز وجل من قلبي حلاوة الخروج في تلك السنة، فخرج الناس وحجوا وعادوا فقلت: أخرج للقاء الأصدقاء والسلام عليهم، فخرجت فجعلت كلما لقيت صديقاً وسلمت عليه، وقلت له: قبل الله حجك وشكر سعيك يقول لي: وأنت قبل الله حجك، فطال علي ذلك فلما كان الليل نمت فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام يقول لي لا تعجب من تهنئة الناس لك بالحج أغثت ملهوفاً وأغنيت ضعيفاً فسألت الله فخلق في صورتك ملكاً فهو يحج عنك في كل عام فإن شئت فحج وإن شئت لا تحج".

وعن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الخلال البغدادي أن بعض أمراء تيمورلنك أخبره أنه لما مَرِضَ مَرَضَ الموت اضطرب ذات يوم اضطراباً شديداً واسود وجهه وتغير لونه ثم أفاق فذكروا له ذلك فقال إن ملائكة العذاب أتوه فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم اذهبوا عنه فإنه كان يحب ذريتي ويحسن إليهم فذهبوا.

وعن شمس الدين محمد بن حسن الخالدي قال: "رأى بعض أصحابنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ورأى عنده تيمورلنك فقال له وصلت إلى هنا يا عدو الله فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليك يا محمد فإنه كان يحب ذريتي".

وحكى العلامة ابن حجر الهيتمي عن التقي الفارسي عن بعض الأئمة أنه كان يبالغ في تعظيم الأشراف، فسئل عن سبب تلك المبالغة فقال: إن شخصاً من الأشراف يقال له مطير قد مات وكان كثير اللعب واللهو فتوقف الأستاذ عن الصلاة عليه، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ومعه فاطمة الزهراء فأعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته وقالت له أما يسع جاهنا مطيرا؟.

وقال المقريزي: "حدثني قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد العزيز البكري البغدادي الحنبلي قال: رأيت في المنام كأني بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انفتح القبر المقدس، وخرج منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلس وعليه أكفانه وأشار بيده المقدسة أن تعال، فقمت وجئت حتى دنوت منه فقال لي: قل للمؤيد يفرج عن عجلان، فانتبهت وصعدت على عادتي إلى مجلس السلطان الملك المؤيد شيخ، وأخذت أحلف له أيماناً حرجة أني ما رأيت عجلان قط ولا بيني وبينه معرفة ثم قصصت عليه رؤياي فسكت وأقمنا حتى انفض المجلس، فقام وخرج من مجلسه إلى دركاه القلعة ووقف عند مرماة نشاب استجدها ثم استدعى بالشريف عجلان الحسيني أمير المدينة من سجنه وأفرج عنه.

قال: واتفق أن الشريف سرداح بن مقبل الحسني قبض على أبيه مقبل أمير ينبع في سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقيم عوضه في إمرة ينبع ابن

أخيه عقيل، وحمل حتى سجن بالإسكندرية ومات في سجنه وكحل ابنه سرداح هذا حتى سالت حدقتاه وورم دماغه ونتن، وأقام خارج القاهرة مدة وهو أعمى، ثم مضى إلى المدينة النبوية، ووقف تجاه قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وشكا ما به وبكى ودعا الله، ثم انصرف وبات تلك الليلة فرأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد مسح بيده المقدسة على عينيه، فانتبه وقد رد الله عليه بصره فاشتهر خبره عند أهل المدينة وأقام عندهم مدة ثم عاد إلى القاهرة فبلغ السلطان الملك الأشرف برسباي قدومه وأنه يبصر فقبض عليه وطلب المزينين اللذين كحلاه وضربهما ضرباً مبرحاً فأقاما عنده بينة يرتضيها من أتباعه بأنهم شاهدوا الميل، وقد أحمي بالنار ثم كحل به سرداح فسالت حدقتاه بحضورهم فكف عنهما، وكذلك أخبر أهل المدينة أنهم شاهدوا سرداحاً وهو ذاهب الحدقتين ثم إنه أصبح عندهم وقد أبصر بعد عماه وقص عليهم رؤياه فأفرج عنه حتى مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

ونقل الشيخ العدوي في مشارق أنواره عن ابن الجوزي في كتابه الملتقط: أنه كان رجل ببلخ من العلويين نازلاً بها وكان له زوجة وبنات فتوفي الرجل، قالت المرأة: فخرجت بالبنات إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، فوصلت في شدة البرد فأدخلت البنات مسجداً، ومضيت لأحتال لهن في القوت، فرأيت الناس مجتمعين على شيخ، فسألت عنه: فقالوا هذا

شيخ البلد، فتقدمت إليه، وشرحت حالي له فقال: أقيمي عندي البينة أنك علوية ولم يلتفت إليّ فعدت إلى المسجد، فرأيت في طريقي شيخاً جالساً على دكة وحوله جماعة فقلت من هذا: فقالوا: ضامن البلد وهو مجوسي فقلت عسى أن يكون عنده فرج، فتقدمت إليه وحدثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد وأن بناتي في المسجد مالهن شيء يقتتن به، فصاح بخادم له فخرج فقال: قل لسيدتك تلبس ثيابها فدخل وخرجت ومعها جوار، فقال لها اذهبي مع هذه إلى المسجد الفلاني واحملي بناتها إلي الدار، فجاءت معي وحملت بناتي إلى الدار، وقد أفرد لنا داراً في بيته، وأدخلنا الحمام، وكسانا ثياباً فاخرة، وأرغد علينا بألوان الأطعمة، فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد كأن القيامة قد قامت وأن اللواء على رأس محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله تعرض عني وأنا رجل مسلم؟ فقال له: أقم البينة عندي أنك مسلم، فتحير الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نسيت ما قلت للعلوية، وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره الآن، فانتبه الرجل وهو يبكي ويلطم وبعث غلمانه في البلد، وخرج هو بنفسه يدور على العلوية فأُخبر أنها في دار المجوسي فجاء إليه فقال: أين العلوية؟ فقال عندي، فقال: إني أريدها، قال: ما إلى هذا سبيل قال: هذه ألف دينار وتسلمها إليّ فقال: لا والله ولا بمائة ألف دينار، فلما ألح عليه قال له: المنام الذي أنت رأيته أنا أيضاً رأيته والقصر الذي رأيته لي حق وأنت تتعزز علي بإسلامك، والله ما دخلت بيتنا إلا

وقد أسلمنا كلنا على يديها وعادت بركاتها علينا، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: هذا القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلوية وأنتم من أهل الجنة".

وحدث سيدي عبد الوهاب الشعراني قال: "أخبر السيد الشريف بزاوية الحطاب رحمه الله تعالى قال: ضرب كاشف البحيرة شريفاً فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة في منامه، وهو يعرض عنه فقال: يا رسول الله ما ذنبي؟ قال: تضربني وأنا شفيعك يوم القيامة؟ فقال يا رسول الله ما أتذكر أني ضربتك، فقال: أما ضربت ولدي؟ فقال: نعم فقال: ما وقعت ضربتك إلا على ذراعي هذا، ثم أخرج صلى الله عليه وآله وسلم ذراعه متورماً كخلايا النحل نسأل الله العافية".

وقال المقريزي: حدثني الرئيس شمس الدين محمد بن عبد الله العمري قال: "سرت يوماً في خدمة القاضي جمال الدين محمود العجمي محتسب القاهرة من منزله حتى جاء إلى بيت الشريف عبد الرحمن الطباطبي المؤذن ومعه نوابه وأتباعه فاستأذن عليه، فخرج من منزله وعظم عليه مجيء المحتسب إليه، وأدخله منزله فدخلنا معه وجلسنا بين يديه على مراتبنا، فلما اطمأن به الجلوس قال للشريف: يا سيد حاللني قال: لم أحاللك يا مولانا؟ قال: لما صعدت البارحة إلى القلعة، وجلست بين يدي مولانا السلطان يعني الملك الظاهر برقوق، فجئت أنت فجلست فوقي في المجلس قلت في نفسي كيف يجلس هذا فوقي بحضرة السلطان، ثم لما قمنا

وكان الليل، ونمت رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: يا محمود تأنف أن تجلس تحت ولدي، فبكى عند ذلك الشريف عبد الرحمن وقال يا مولانا ومن أنا حتى يذكرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكى الجماعة وسألوه الدعاء وانصرفنا".

وعن سيدي محمد الفارسي أنه قال: "كنت أبغض أشراف المدينة بني حسين لأنه كان يرى منهم ما يخالف ظاهره السنة فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مناماً: يا فلان باسمي مالي أراك تبغض أولادي فقلت: حاشا لله ما أكرههم يا رسول الله، وإنما كرهت ما رأيت من فعلهم فقال لي مسألة فقهية: أليس الولد العاق يلحق بالنسب؟ قلت بلى يا رسول الله، قال: هذا ولد عاق، فلما انتبهت صرت لا ألقى منهم أحداً إلا بالغت في إكرامه، وقد تقدمت هذه القصة في خصائصهم.

قال ابن حجر الهيتمي: قال تعالى لنبيه في عشيرته ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾"[1" ولم يقل إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب.

قلت: وحدثني أحد الأجلاء قال كان أمير من أمراء العراق شديد المحبة للأشراف كثير التعظيم والإجلال لهم، فكان إذا حضر أحدهم في مجلسه لا يجلسه إلا في الصدر وإن كان هناك من هو أكثر منه مالاً وأعظم جاهاً

1- الشعراء آية 216.

من أبناء الدنيا، فدخل عليه مرة شريف وفي المجلس عالم ذو منزلة، فلم يسع الشريف إلا الجلوس فوقه لاستحقاقه وعلمه بأن ذلك يرضي الأمير، فظهرت الكراهية في وجه العالم وتكلم بما لا ينبغي، فأعرض الأمير عن حديثه، وانتقل إلى حديث آخر ثم بعد أن تنوسي هذا الأمر سأله عن ولد له يطلب العلم، فأجابه بأنه ما زال يحفظ المتون ويقرأ الدروس وأنه علمه كذا وقرأ له كذا، ورتب له درساً في الصباح، وآخر في وقت آخر وأخذ يخبره بأحواله، فقال له: هلا رتبت له نسباً، وعلمته شرفاً، حتى يكون من أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: وقد غفل عما اقترفه: هذا لا يكون بالترتيب والتعليم، وإنما هو بسابق عناية لا مدخل للكسب فيها، فصاح به الأمير: إذا كنت تعلم هذا يا خبيث فلماذا أنفت من جلوس الشريف فوقك، والله لا تطأ مجلسي أبداً ثم أمر بطرده فطرد.

الخاتمة

في بيان فضل الصحابة وأن محبة آل البيت لا تجدي نفعاً إذا خالطها بغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إن أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم قد صحبوه في السراء والضراء، ولازموه في الشدة والرخاء، وفدوه بالأموال والأرواح، وجالدوا أمامه بالسيوف والرماح، ووالوا من والاه، وعادوا من عاداه، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، وكانوا يحبون الخير لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أقارب أنفسهم، هذا سيدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أسلم أبوه يوم الفتح، وهنأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك قال: والله لإسلام أبي طالب كان أحب إلي من إسلامه، وما ذاك إلا لأني أعلم أنه أحب إليك يا رسول الله.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أسلم العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: والله لإسلامه أحب إلي من إسلام الخطاب لأنه أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد نال المهاجرين منهم في ابتداء الإسلام من معاداة قريش وأذاهم لهم وتعذيبهم إياهم بأنواع العذاب ما لا تثبت له الجبال الرواسخ، وهم مع ذلك لا يبغون بدين الله بدلاً، ولا يصدهم عن محبة رسول الله صاد.

ولا تنس الأنصار رحم الله الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار

فقد واسوه صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين من أصحابه بأموالهم وفدوه بنفوسهم، حتى ظهر أمر الله، وانظر رحمك الله إلى جواب سيدهم سعد بن معاذ حين قال صلى الله عليه وآله وسلم قبيل وقعة بدر (أشيروا علي)، فأجابه من المهاجرين أبو بكر وعمر والمقداد رضي الله عنهم فأحسنوا، فلم يقنع صلى الله عليه وآله وسلم بأجوبتهم وكرر قوله: (أشيروا علي) ثلاث مرات فقال سعد رضي الله عنه: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: (أجل) قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواثيق على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما شئت، وصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به من أمر فأمرنا نتبع أمرك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا، إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله، فنحن عن يمينك وشمالك، وبين يديك وخلفك، ولا نكونَنَّ كالذين قالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون.

1- المائدة آية 24.

وهذه في الحقيقة صفات الصحابة عموماً المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

تنبيه: قال الفخر الرازي: "قوله تعالي: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فيه منصب عظيم للصحابة رضوان الله عليهم، لأنه تعالى قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾"[1]، فكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله، فدخل تحت قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ والحاصل أن هذه الآية: تدل على وجوب حب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحب أصحابه، وهذا المنصب لا يسلم إلا على قول أصحابنا أهل السنّة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا)"[2] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)"[3]، ونحن الآن في بحر التكليف، وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين: **أحدهما** السفينة الخالية من العيوب والثقب، **والثاني**: الكواكب الظاهرة

1- الواقعة آية 10.

2- رواه الحاكم والطبراني.

3- رواه الشهاب في المسند عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى)، وعبد بن حميد في المسند عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مثل أصحابي مثل النجوم يهتدي به فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم).

الطالعة النيرة، فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب كان رجاء السلامة غالباً، فلذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد، ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة، فرجوا من الله أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدينا والآخرة"ا.هـ.

فمن فضائلهم رضوان الله عليهم بوجه العموم، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (احفظوني في أصحابي وأصهاري فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه، ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذه)"[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أكرموا أصحابي فإنهم خياركم)"[2]، وروى مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تسبوا أحداً من أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).

فائدة نفيسة:

نقل الحافظ السيوطي عن الإمام السبكي رحمهما الله تعالى أن الخطاب في الحديث لمن أسلم بعد الفتح: "وقوله: (أصحابي) المراد بهم: من أسلم قبل

1- رواه الطبراني.

2- ذكره عبد الرزاق في المصنف.

الفتح قال: ويرشد إليه قوله: (لو أن أحدكم أنفق.. الخ)"[1] مع قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾"[2]، فالحديث على هذا في حق المتقدمين قبل الفتح، ويدخل من بعدهم في حكمهم فإنهم بالنسبة إلى من بعدهم كالذين من قبلهم بالنسبة إليهم، قال يعني السبكي: وسمعت شيخنا الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله يذكر في مجلسه في الوعظ تأويلاً آخر يقول: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم له تجليات يرى فيها من بعده، فيكون الكلام منه صلى الله عليه وآله وسلم في تلك التجليات خطاباً لمن بعده في حق الصحابة الذين قبل الفتح وبعده"ا.هـ.

وقال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)"رواه الطبراني"، وقوله صرفاً ولا عدلاً: أي فرضاً ولا نفلاً.

وعن ابن عمر قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير

1- رواه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)

2- الحديد آية 10.

من عمل أحدكم عمره"[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذي الله يوشك أن يأخذه)[2]، وعن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الناس يكثرون وأصحابي يقلون فلا تسبوهم لعن الله من سبهم)[3]، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين)[4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أراد الله برجل من أمتي خيراً ألقى حب أصحابي في قلبه)[5]، وقال عليه الصلاة والسلام: (إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شرِّكم)[6]، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن شرار أمتي أجرؤهم على صحابتي)[7]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (سألت ربي فيما يختلف فيه أصحابي من بعدي فأوحى

1- رواه ابن ماجه.

2- رواه أحمد والترمذي.

3- رواه الطبراني.

4- ذكره أبو نعيم في الحلية.

5- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث وعزاه إلى الديلمي.

6- رواه الطبراني والترمذي.

7- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث.

إلي: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه فهو عندي على هدى)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (شفاعتي مباحة إلا لمن سب أصحابي)"[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة)"[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)"[3].

قال العلقمي: "هذا علم من أعلام النبوة علم به عليه الصلاة والسلام، وأمرنا أن نمسك عما شجر بين الصحابة أي وجوباً، وما وقع بينهم من الحروب والمنازعات التي قتل بسببها كثير منهم، فتلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا، ونرى الكل مأجورين في ذلك، لأنه صدر منهم باجتهاد والمجتهد في مسألة ظنية مأجور ولو أخطأ".

وقال المناوي في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي... الخ).

وخصَّ الوعيد بالبعدية لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع وإيذاء بعضهم، زعماً منهم الحب لبعض آخر وهذا من باهر معجزاته، وقد كان في حياته حريصاً على حفظهم، والشفقة عليهم.

1- ذكره المتقي الهندي في كنز العمال.

2- رواه الترمذي.

3- رواه الطبراني.

أخرج البيهقي عن ابن مسعود قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (ألا لا يبلغني أحد منكم على أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر).

قال: "وإن ملحد تعرض إليهم وكفر نعمة قد أنعم الله بها عليهم فجهل منه وحرمان، وسوء فهم، وقلة إيمان إذ لو لحقهم نقص لم يبق في الدين ساق قائمة لأنهم النقلة إلينا فإذا جرح النقلة دخل الطعن في الآيات والأحاديث وبذلك ذهاب الأنام وخراب الإسلام إذ لا وحي بعد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعدالة المبلغ شرط لصحة التبليغ"ا.هـ.

مبحث لزوم الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه (أسنى المطالب في صلة الأقارب): "يلزم المسلم أن يتأدب مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته بالترضي عنهم، ومعرفة فضلهم وحقهم، والإمساك عما شجر بينهم، مع نزاهة كل منهم عن ارتكابه شيئاً يعتقد حرمته، بل كل منهم مجتهد، فهم مجتهدون مثابون المحق منهم بعشرة أجور، والمخطئ بأجر واحد والعقاب واللوم والنقص مرفوع عن جميعهم فتفطن لذلك وإلا زلت قدمك وحق هلاكك وندمك"ا.هـ.

وقال العلامة اللقاني في شرح جوهرته الكبير: "وسبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة

أقسام: قسم ظهر له بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخير عن مساعدة الإمام العادل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكسه سواء بسواء، وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها، فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر استحقاقه لذلك، وبالجملة: فكلهم معذورون مأجورون، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم وروايتهم وتحقق عدالتهم"ا.هـ.

وقال العلامة السعد: "والذي اتفق عليه أهل الحق أن المصيب في جميع ذلك عليّ رضي الله عنه، والتحقيق أنهم كلهم عدول متأولون في تلك الحروب وغيرها من المخاصمات والمنازعات لم يخرج شيء منها أحداً منهم عن عدالته إذ هم مجتهدون"ا.هـ.

تنبيه في بيان حكم ساب الصحابة رضي الله عنهم

تنبيه: اطلعت للحافظ السيوطي على رسالة سماها (إلقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر)، نقل فيها الاتفاق على فسق ساب مطلق الصحابة إذا لم يستحل ذلك وإذا استحله فهو كافر لأن أدنى مراتبه أنه محرم وفسق واستحلال الحرام كفر إذا كان تحريمه معلوماً من الدين بالضرورة وتحريم سب الصحابة كذلك.

قال: "وهو من الكبائر لأن الكبيرة على ما صححه المتأخرون كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة، وممن صحح ذلك ابن السبكي في جمع الجوامع وسبهم كذلك، وما أجرأ فاعله على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقل اكتراثه بالدين، أظن الخبيث لعنه الله أن مثل هؤلاء يستحق السب وهو مبرأ تقي نقي مستأهل للمدح والثناء، كلا والله بفيه الحجر بل إذا ظن أنهم يستحقون السب اعتقدنا أنه يستحق الحرق وزيادة"ا.هـ.

وقال المناوي في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)"[1]: "هذا شامل لمن لابس القتل، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون فسبهم كبيرة، ونسبتهم إلي الضلال أو الكفر كفر"ا.هـ.

1- رواه الطبراني.

وقال القاضي عياض في الشفاء: "سبُّ الصحابة وتنقيصهم حرام ملعون فاعله، قال: وقال مالك: "من قال أن أحداً منهم على ضلال قتل ومن شتمهم بغير هذا نكل نكالاً شديداً"ا.هـ.

هذا في مطلق الصحابة وأما سبُّ أحد الشيخين أبي بكر وعمر أو أحد الختنين عثمان وعليّ، فيعلم حكمه مما نقله السيوطي في رسالته المذكورة عن الإمام السبكي، حيث قال: "ورأيت الشيخ تقي الدين السبكي صنف كتاباً سماه (غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ) بسبب رافضي وقف في الملأ وسبَّ الشيخين وعثمان وجماعة من الصحابة، فاستتيب فلم يتب، فحكم المالكي بقتله وصوبَّه السبكي فيما فعل وألف في تصويبه الكتاب المذكور وذكر فيه عن القاضي حسين من أصحابنا وجهين فيمن سبَّ أحد الشيخين أو الختنين: يكفر وإن لم يستحل لأن الأمة أجمعت على إمامتهم، والثاني: يفسق ولا يكفر، ثم نقل عن الحنفية نقولاً كثيرة بعضها بالتكفير، وبعضها بالتضليل ثم مال السبكي إلى تصحيح التكفير لمآخذ ذكرها ثم نقل عن المالكية والحنابلة نقول كذلك"ا.هـ.

ولنكتف بهذا هنا ونذكر شيئاً من فضائل الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم ونرتبهم بحسب الاستحقاق لا بحسب الاتفاق.

فضائل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه

قال الله: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾"[1]"، قال المفسرون: الصاحب: هو أبو بكر الصديق، وهو المنزل عليه السكينة لأن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما زالت عليه السكينة، قال الحسن البصري رضي الله عنه: عاتب الله جميع أهل الأرض غير أبي بكر رضي الله عنه فقال: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى، وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾"[2]"، نزلت في أبي بكر رضي الله عنه كما في التفاسير، وعنه رضي الله عنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدمه لأبصرنا قال: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)، أخرجه البخاري ومسلم، وأخرجا عن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة فقلت: من الرجال؟ قال أبوها، قال قلت ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب إن الله يكره فوق السماء أن يخطأ أبو بكر الصديق في الأرض.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله

1- التوبة آية 40.

2- الليل آية 17-21.

صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه: (ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر)"رواه مسلم".

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاشتد مرضه، فقال: (مُروا أبا بكر فليصل بالناس)، فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق القلب، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، فقال: (مُري أبا بكر فليصل بالناس)، فعادت فقال: (مُري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف)، فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أتاني جبريل آنفاً فقلت: يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب؟ فقال: يا محمد لوحدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر)"[1]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي)"[2]، وعن عمر بن

1- رواه الطبراني.

2- رواه الحاكم وأبو داود.

الخطاب أنه قال: (أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) رواه الترمذي وقال: صحيح، وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر)"[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله)"رواه البخاري"، وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال: "أيها الناس أخبروني من هو أشجع الناس؟ قالوا: أنت قال: إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فلهذا كان أشجع الناس" ذكره السيوطي في الرسالة المذكورة.

وفيها وفي (أسنى المطالب) لابن حجر المكي أخرج البزار وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: أيها الناس أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم فمن؟ قال: أبو بكر، لقد رأيت رسول الله

1- رواه الترمذي.

صلى الله عليه وآله وسلم وأخذته قريش فهذا يجؤه، وهذا يتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع عليّ بردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر، خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

وأخرج البزار عن أسيد بن صفوان قال: لما توفي أبو بكر سجي بثوب فارتجت المدينة بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء علي كرم الله وجهه مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: "اليوم انقطعت خلافة النبوة"، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر فقال: "رحمك الله أبا بكر، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناء، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحدهم على الإسلام، وآمنهم على الصحابة، وأحسنهم صحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسناً، وأوثقهم عنده وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن المسلمين خيراً".

فضائل سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه

أخرج الترمذي عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)، وروي عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)"[1]"، قال ابن عمر: "ما نزل بالناس أمر قط فقالوا له وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر"، وعن ابن عباس: "لما أسلم عمر نزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر" "رواه ابن ماجه"، وعنه قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾"[2]"، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هذا غلق الفتنة وأشار بيده إلى عمر، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم)"رواه البزار"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه)"[3]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الشيطان ليفرق منك يا عمر)"[4]"، وقال صلى الله عليه وآله

1- رواه الترمذي والطبراني وابن حبان.

2- الأنفال آية 64.

3- رواه الطبراني.

4- رواه أحمد والبزار.

وسلم: (عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة)"[1]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (قال لي جبريل ليبك الإسلام على موت عمر)"[2]"، وروي الترمذي عن جابر بن عبد الله أن عمر قال لأبي بكر: أخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أما إنك إن قلت ذلك فلقد سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر)، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر)"[3]"، وعن علي كرم الله وجهه قال: "كنَّا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر" رواه غير واحد"[4]"، وعن أسماء بنت عميس قالت: "دخل رجل من المهاجرين على أبي بكر، وهو يشتكي في مرضه فقال له: أتستخلف علينا عمر وقد عتا علينا ولا سلطان له؟ فكيف لو ملكنا كان أعتى وأعتى، فكيف تقول لله إذا لقيته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني فلما أجلسوه قال: أنا لله تعرفوني؟ فإني أقول إذا لقيته: استخلفت عليهم خير أهلك""[5]".

وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: صِفْ لي عمر بن الخطاب، قال: "كان عالماً برعيته، عادلاً في نفسه، قليل الكبر، قبولاً للعذر، سهل الحجاب،

1- رواه أحمد في فضائل الصحابة.

2- رواه الطبراني.

3- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث.

4- ذكره السيوطي في جامع الأحاديث وعزاه لأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل.

5- رواه عبد الرزاق وابن راهويه.

مفتوح الباب، متحري الصواب، بعيداً من الإساءة، رفيقاً بالضعيف، غير صخاب، كثير الصمت، بعيداً من العبث"[1]، وفي طبقات ابن السبكي، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: وقف أعرابي على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

يــــا عمـــــر الخـــير جزيـــــت الجنـــــة

اكْـــــــسِ بنيــــــــاتي وأمهنــــــــــه

أقسم بالله لتفعلنه فقال عمر: وإن لم أفعل يكون ماذا؟ فقال الأعرابي: إذاً أبا حفص لأمضينه قال: فإن مضيت يكون ماذا؟ قال:

والله عـــــــــنهن لتســــــــــألنه

يـــــوم يكــــون الأعطيـــــات ثنــــــه"[2]

والواقــــــف المســــئول بينهنــــــه

إمــــــا إلى نـــــــار وإمـــــا جنـــــــة

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته، وقال لغلامه: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشِعْره، ثم قال: "والله لا أملك غيره"[3].

وقال أبو بكر الخرائطي: رحم الله عمر ما كان أنظره بنور الله في ذات الله وأفرسه كان والله كما قال الشاعر:

1- ذكره الدينوري في المجالسة وجواهر العلم.

2- أي ثمة أبدل الميم نونا وهي لغة.

3- ذكره السبكي في طبقات الشافعية.

بصـــــــير بأعقـــــاب الأمـــــــور برأيــــــه
كـــــأن له في اليــــــوم عينـــــا على غــــــد

وورد فيهما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد لا يرفعن أحدٌ من هذه الأمة كتابه قبل أبي بكر وعمر)"1"، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى أيدني بأربعة وزراء: اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل، واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر)"2"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لكل نبي خاصة من أصحابه، وإن خاصتي من أصحابي أبوبكر وعمر)"3"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق)"4"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (خير أمتي أبو بكر وعمر)"5"، وقال عليه الصلاة والسلام: (سيد كهول الجنة أبو بكر وعمر)"6"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (صالح المؤمنين

1- عزاه السيوطي لابن عساكر.
2- رواه الطبراني.
3- رواه الطبراني.
4- عزاه السيوطي لابن عساكر.
5- رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.
6- رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والطبراني والبزار وابن حبان.

أبو بكر وعمر)"[1]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما قدمت أبا بكر وعمر ولكن الله قدمهما)"[2]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أحشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا وأخرج السبابة والوسطي والبنصر)"[3]".

فضائل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال صلى الله عليه وآله وسلم: (عثمان بن عفان وليٌّ في الدنيا وولي في الآخرة)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن عثمان حيي ستير، تستحي منه الملائكة)"[4]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (عثمان أحيي أمتي وأكرمها)"[5]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان)"[6]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفاً كلهم قد استوجبوا النار الجنة بغير حساب)"[7]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من

1- رواه الطبراني.

2- كنز العمال.

3- كنز العمال.

4- رواه الطبراني.

5- ذكره المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه لأبي نعيم في الحلية.

6- رواه ابن ماجه.

7- كنز العمال.

بني تميم)، قال المناوي: قيل هو عثمان"[1]"، وقال عليه الصلاة والسلام: (لكل نبي خليل في أمته، وإن خليلي عثمان بن عفان)"[2]"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اللّٰهُمَّ ارض عن عثمان فإني عنه راض)"[3]"، قال ابن إسحاق: أنفق عثمان في جيش العسرة نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، وروي عن قتادة أنه قال: حمل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أن عثمان رضي الله عنه جاء يومئذ بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم يقول بيده ويقلبها ظهراً لبطن ويقول: (غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان بعدها)"[4]"، وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحث الناس على جيش العسرة، فقال عثمان: عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر، فحث الناس فقال عثمان: عليّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها، ثم نزل مرقاة أخرى، فحث فقال عثمان: عليّ مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال فرأيت رسول الله صلى

1- رواه أحمد والحاكم وابن حبان.

2- كنز العمال.

3- كنز العمال.

4- ذكره أبو نعيم في فضائل الصحابة.

الله عليه وآله وسلم يقول بيده هكذا، يحركها كالمتعجب وقال: (ما على عثمان بعد هذا اليوم).

وقد ورد في حق الثلاثة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت)"1".

فضائل الإمام علي المرتضى رضي الله عنه وكرم وجهه

قال عليه الصلاة والسلام: (من كنت مولاه فعليّ مولاه)"2"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِ الباب)"3"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا دار الحكمة وعليّ بابها)"4"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (خير إخواني عليّ وخير أعمامي حمزة)"5"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (عليّ أخي في الدنيا والآخرة)"6"، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من آذي عليّاً فقد آذاني)"7" وقال عليه الصلاة والسلام: (من سبَّ عليّاً فقد سبني ومن سبني فقد

1- رواه الطبراني.

2- رواه أحمد والحاكم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم.

3- رواه الحاكم والطبراني.

4- رواه الترمذي.

5- ذكره أبو نعيم في معرفة الصحابة.

6- رواه الطبراني.

7- رواه أحمد والحاكم وابن حبان.

سبَّ الله)"[1]، وحينما استخلفه على المدينة يوم غزوة تبوك أرجف المنافقون بأنه إنما خلفه استثقالاً، فأخذ سلاحه وأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره الخبر فقال: (كذبوا، ولكن خلفتك لما تركت ورائي، فارجع في أهلي وأهلك، أفلا ترضي يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فقال: رضيت ثم رضيت ثم رضيت)"[2].

قال السيد أحمد دحلان في سيرته: "قال أهل السنة: إن هارون عليه السلام إنما كان خليفة في حياة موسى عليه السلام حين ذهب إلي الميقات، فدل ذلك على تخصيص خلافة عليّ رضي الله عنه في أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدة غيبته في تبوك، كما كان هارون خليفة موسى عليهما السلام في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة.

وقد استخلف صلى الله عليه وآله وسلم غير علي في مرات أخر، فهل يلزم أن يكون مستحقاً للخلافة؟ ولما سئل عليّ رضي الله عنه وكرم وجهه في زمن خلافته: هل أوصى لك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة؟ قال: لا، ولو أوصي لي بها لقاتلت عليها، حتى لو لم يبق معي إلا سيفي وردائي، ولو أوصى له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

وقول الرافضة إنَّ ذلك كان منه تقية كذب وزور، فإنه كان رضي الله عنه

1- رواه أحمد والحاكم والنسائي.

2- متفق عليه.

ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بني هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة، فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك"ا.هـ

وأخرج الحافظ محب الدين بن النجار في (تاريخ بغداد) عن ابن المعتمر مسلم بن أوس وحارثة بن قدامة السعدي أنهما حضرا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يخطب وهو يقول: "سلوني قبل أن تفقدوني، فإني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أخبرت عنه"، وأخرج أبو نُعَيْم في الحلية عن عليّ كرم الله وجهه قال: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت؟ إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً"، وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه أنه قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليَّ: لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)، وأخرج ابن أبي شيبة وأبو نعيم عنه رضي الله عنه أنه قال على منبره: "أما إني فقأت عين الفتنة، وإني وأيم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا حدثتكم"، وأخرج ابن أبي شيبة عن زيد بن ربيع قال: بلغ عليّاً أن أناساً يقولون فيه فصعد المنبر فقال: "أنشد الله رجلاً سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً إلا قام" فقام جماعة، فقالوا: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أقضاكم عليٌّ)، وأخرج

الحاكم وصححه عن عليّ قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فقلت يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري ثم قال: (اللّهُمَّ اهد قلبه وثبت لسانه)، فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين"، وروي أن سبب قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أقضاكم عليّ) أنه عليه الصلاة والسلام كان جالساً مع جماعة من الصحابة، فجاء خصمان، فقال أحدهما: يا رسول الله إن لي حماراً وإن لهذا بقرة، وإن بقرته قتلت حماري، فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اقض بينهما يا عليّ)، فقال عليّ لهما: "كانا مرسلين أم مشدودين؟ أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلاً؟" فقال: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة، وصاحبها معها، فقال عليّ: "صاحب البقرة ضامن الحمار"، فأقر صلى الله عليه وآله وسلم حكمه وأمضى قضاءه.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب لا يجترئ أحد أن يكلمه إلا عليّ، وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (النظر إلى عليّ عبادة)"[1].

ومما ورد في الأربعة رضوان الله عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء

1- رواه الحاكم.

عثمان وأقضاهم عليّ)"[1]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مُرّاً لقد تركه الحق وماله من صديق، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد في مسجدنا حتى وسعنا، رحم الله علياً اللّهُمَّ أدر الحق معه حيث دار)"[2]، وقد ورد في فضائل كل منهم رضوان الله عليهم من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ودون في التواريخ والسير، وكتب التفسير والأثر من محاسن أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم ما لو أريد استقصاؤه لملأ مجلدات، وكان ما فات أكثر مما هو آت.

تنبيه في بيان أفضلية بعض الصحابة على بعض رضي الله عنهم

تنبيه: قال اللقاني في (هداية المريد لجوهرة التوحيد): "أفضل الصحابة أهل الحديبية، وأفضل أهل الحديبية، أهل أحد وأفضل أهل أحد أهل بدر، وأفضل أهل بدر العشرة، وأفضل العشرة الخلفاء الأربعة، وأفضل الأربعة أبو بكر، والمراد من الأفضلية أكثرية الثواب.

ومما يجب اعتقاده أن أفضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، هم الذين ولوا الخلافة بعده صلى الله عليه وآله وسلم، وبين عليه الصلاة والسلام

1- رواه أحمد والنسائي وابن حبان.

2- رواه الترمذي والحاكم و الطبراني.

مدتها بقوله: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً)"[1]، فقد صرح كلامه عليه الصلاة والسلام بأن الأئمة الأربعة أفضل الصحابة، لأنَّ هذه المدة كانت دور ولايتهم، وترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، فالأسبق فيها أكثرهم فضلاً ثم التالي فالتالي عند أهل السنة وإماميهم أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، فأفضلهم أبو بكر فعمر، فعثمان، فعليّ، رضوان الله عليهم.

قال الإمام الغزالي: "حقيقة الفضل ما هو عند الله تعالى وذلك مما لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ورد الثناء عليهم في أخبار كثيرة، ولا يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه إلا المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عن الحق صارف"، ونحوه قول السعد: على هذا وجدنا السلف والخلف.

والظاهر أنهم لو لم يكن لهم دليل على ذلك لما حكموا به، وقوله في شرح المقاصد: يدل لنا إجمالاً أن جمهور عظماء الملة وعلماء الأمة أطبقوا على ذلك، وحسن الظن بهم يقضي بأنهم لو لم يعرفوه بدلائل وأمارات لما أطبقوا عليه" اهـ كلام اللقاني ملخصاً.

قلت: وقول السعد جمهور عظماء الملة يفيد أن ذلك ليس إجماعيّاً، وهو

1- رواه ابن حبان والبزار.

كذلك في الترتيب بين عثمان وعليّ رضي الله عنهما، فقد قال بعض أكابر أهل السنة بتفضيل عليّ على عثمان ومنهم سفيان الثوري، والإمام مالك في قوله الأول، ثم رجع عنه إلي تفضيل عثمان على عليّ، قال النووي: وهو الصحيح، وقال اللقاني: وهو الأصح.

أما تفضيل أبي بكر على الثلاثة وعمر على الاثنين فهو أمر إجماعي كما قال العلامة ابن حجر في خاتمة الفتاوي، وعبارته: قد صح عن عليّ نفسه: خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ثم عمر ثم رجل آخر، فقال له ابنه محمد رضي الله عنهما، ثم أنت يا أبت فقال: ما أبوك إلا رجل من المسلمين.

ومن ثمة أجمع أهل السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم على أن أفضل الصحابة على الاطلاق: أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما، وفي موضع آخر منها سئل أي ابن حجر: هل الأفضلية بين الخلفاء الأربعة قطعية أم اجتهادية، إذ لا شاهد من العقل يقطع بأفضلية بعضهم على بعض، والأخبار الواردة في فضائلهم متعارضة؟ فأجاب رحمه الله بقوله: "إن أفضلية أبي بكر رضي الله عنه على الثلاثة، ثم عمر رضي الله عنه على الاثنين مجمع عليها عند أهل السنة لا خلاف بينهم في ذلك، والاجماع يفيد القطع، وأما أفضلية عثمان على عليّ رضي الله عنهما فظنية، لأن بعض أكابر أهل السنة كسفيان الثوري فضل عليّاً على عثمان، وما وقع فيه خلاف بين أهل السنة فظني، وأما الأحاديث في ذلك فمتعارضة جداً،

بل عليّ كرم الله وجهه ورد فيه من الأحاديث المشعرة بفضله مالم يرد في الثلاثة، وأجاب عنه بعض الأئمة بأن سبب ذلك أنه عاش إلى زمن الفتن وكثرت أعداؤه وقدحهم فيه، وحطهم عليه، وغمصهم لحقه بباطلهم، فبادر حفاظ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وأخرجوا ما عندهم في حقه ردعاً لأولئك الفسقة المارقين والخوارج المخذولين، وأما بقية الثلاثة فلم يقع لهم ما يدعوا الناس إلي الإتيان بمثل ذلك الاستيعاب" اهـ.

وقال الإمام الشعراني في (المنن): "قال أبو بكر بن عياش: لو أتاني أبو بكر وعمر وعليّ في حاجة، لبدأت بحاجة عليّ قبلهما لقرباه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولئن أَخَرَّ من السماء إلى الأرض، أحب إلي من أن أقدمه عليهما".

قال اللقاني: "ولا يخفي صحة شمول الفضل لسائر أسبابه من علم وشجاعة، وحسن رأي، وقرب من الله ورسوله ومحبة لهما ومنهما".

لطيفة:

قرأت في طبقات ابن السبكي في ترجمة الحارث بن سريج أن داود بن عليّ الأصفهاني قال: سمعت الحارث بن سريج يقول: سمعت إبراهيم بن عبد الله الحجبي يقول للشافعي رضي الله عنه: ما رأيت هاشمياً قط يفضل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما على علي كرم الله وجهه غيرك، فقال الشافعي: علي ابن عمي وابن خالتي وأنا رجل من بني عبد مناف وأنت رجل من بني عبد الدار، فلو كانت هذه مكرمة كنت أولى بها منك ولكن ليس الأمر

على ما يحسب.

وروي عنه رضي الله عنه أنه قال: "اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر فلذلك استعملوه على رقاب الناس"[1].

تنبيه: فيه أن فضل كل فريق من أهل البيت والصحابة هو من جملة فضائل الفريق الآخر

تنبيه: قد ظهر لذهني القاصر معنى شريف، وحجة قوية في تأييد مذهب أهل السنة الجامعين بين حب الصحابة والآل وتزييف مذهب المفرقين بينهم من أهل الرفض والضلال، وذلك أن جميع ما ثبت من فضل الصحابة رضوان الله عليهم، هو في الحقيقة من فضائل أهل بيت النبوة، زيادة على ما نالوه بانتسابهم إلى حضرة صاحب الرسالة من الفضل، فإنهم صحابة جدهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لا صحابة نبي سواه، وهم وإن كانوا في أنفسهم فضلاء نبلاء حائزين من كل وصف جميل محضه ولبابه إلا أن أفضليتهم على من سواهم من الأمة إنما هي لفوزهم بتلك الصحبة الشريفة التي لا يوازيها عمل عامل، ولا اجتهاد مجتهد، وما يلزمها من اقتباس الأنوار والأسرار، فضلاً عن فدائهم له صلى الله عليه وآله وسلم

1- رواه البيهقي.

بكل ما قدروا عليه من نفس ومال وولد ووالد وخوض كثير منهم أمامه في غمار الحروب، ومخالطتهم المنايا، حتى ظهر دين الله المبين، وخفقت أعلامه في العالمين وإلا فإنا نجد في التابعين فمن بعدهم من هو أعلم وأعبد وأروع وأزهد وأكثر حرباً وجهاداً وطعاناً وجلاداً من بعض صغار الصحابة الذين لم تطل صحبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يلازموه في كثير من مواطنه الشريفة وغزواته المظفرة، ومع هذا فأقلهم فضلاً أفضل من أفضل التابعين، فمن بعدهم إلي يوم القيامة.

فتلخص أنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الأصل الذي تفرع عنه فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وكذا جميع ما ثبت لأهل البيت من الفضل هو أيضاً يحسب من فضائل الصحابة الكرام زيادة على ما اتصفوا به من الفضل والفخر بصحبتهم له صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهم ذرية نبيهم الذي استنقذهم من ظلمات الشرك، وزجهم في أنوار التوحيد، وفازوا بما فازوا به بسببه من السيادة الدنيوية والسعادة الأبدية وذريته صلى الله عليه وآله وسلم بعضه، فكما أن فضل الكل وهو النبي عليه الصلاة والسلام هو زيادة في فضل أصحابه الذي هو متفرع عن فضله فكذلك بعضه وهم الذرية الطاهرة، فإن فضلهم فرع عن فضله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد علمت أن أصل الفضلين فضل الذرية، وفضل الصحابة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما فرعان عن أصل واحد، فمهما حصل

لأحدهما من مدح أو ذم لابد وأن يتعدى إلي الآخر.

فلعنة الله على من فرق بينهما بولاء بعضهم ومعاداة البعض فإن من عادى أحدهما لم ينفعه ولاء الآخر، وكان عدو الله ورسوله ولمن التزم ولاءه أيضاً، وانظر إلي سيدنا زيد بن عليّ زين العابدين رضي الله عنهما حين خرج على هشام بن عبد الملك فقد بايعه وقتئذ ناس كثير من أهل الكوفة، وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه، فقال: كلا بل أتولاهما فقالوا: إذاً نرفضك، فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا رافضة من حينئذ، وجاءت طائفة وقالوا: نحن نتولاهما ونتبرأ ممن يتبرأ منهما فقبلهم، وقاتلوا معه فسموا الزيدية، غير أنهم خلف من بعدهم خلف خرجوا عن مذهب زيد، وبقي عليهم الاسم فقط فمن أراد سعادة الدارين فعليه بمحبة الطرفين، ملتزماً في ذلك الطريق الشرعي غير حائد عن سنن السلف والخلف، وهو مذهب أهل السنة السنية، وهداة الملة الحنيفية أماتنا الله على ذلك غير مبدلين، ولا مغيرين، ولا مفتونين، ولا فاتنين.

قال ابن السبكي في الطبقات: "قال الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه:

إني امـــــرؤ لــــــيس في ديــــــني لغــــــامزه

لــــــين ولســــــت على الإســــــلام طعانــــــا

فــــــلا أســــــب أبــــــا بكــــــر ولا عمــــــرا

ولـــــــن أســــــب معـــــــاذ الله عثمانــــــــا
ولا الـــــــزبير حـــــــواري الرســـــــول ولا
أهـــــدي لطلحــــــة شـــــتماً عـــــز أو هانـــــا
ولا أقـــــــــــــول علي في الســـــــــــحاب إذا
قـــــد قلـــــت والله ظلمـــــاً ثـــــم عـــــدوانا

وهي قصيدة طويلة منها:

الله يـــــــــدفع بالســـــــلطان معضـــــــلة
عـــــن ديننـــــا رحمـــــة منـــــه ورضـــــوانا
لـــــولا الأئمـــــة لـــــم تـــــأمن لنـــــا ســـــبل
وكان أضـــــــــعفنا نهبـــــــــاً لأقوانـــــــــا

وقيل: إن هارون الرشيد أعجبه، ولما بلغه موت ابن المبارك أذن للناس أن يعزوه فيه، وقال أليس هو القائل الله "يدفع" البيتين" اهـ.

فإن قلت: تفريعك هذين الفرعين أهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم عن الأصل الواحد وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصفة التي ذكرتها يشعر بتفضيل الذرية الطاهرة على الصحابة الكرام رضوان الله على الجميع.

قلت: نعم وهو كذلك من حيث أنهم ذريته صلى الله عليه وآله وسلم لا

من كل حيثية، وهذا مما لا يشتبه فيه عاقل، فإن الذرية الطاهرة من هذه الحيثية أفضل العالمين على الاطلاق، فإن ذلك يرجع لتفضيله عليه الصلاة والسلام، ولا يشك مؤمن بأنه أفضل الخلق كافة وهو بمنزلة قولك جدهم عليه الصلاة والسلام أفضل من كل جد، وهل يرتاب في هذا مؤمن، ومن هنا قال الإمام السبكي وغيره في حق السيدة فاطمة رضي الله عنها: لا نفضل على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً فأنت تراهم وصفوها بالبضعية التي هي داعية التفضيل على أمها خديجة ومريم وعائشة، ولم يقولوا لا نفضل على زوجة عليّ أو أم الحسنين أو غير ذلك من أوصافها الشريفة، وهذا المعني موجود في سائر أولاده وبناته صلى الله عليه وآله وسلم، وأولاد فاطمة خصوصية منه صلى الله عليه وآله وسلم، فهم من تلك الحيثية أفضل الناس، وصرح بأفضلية السيدة فاطمة على جميع الصحابة الشيخين فمن عداهما الشمس العلقمي، وقيده المناوي بحيثية البضعية قال: فإن الشيخين بل الخلفاء الأربعة أفضل منها من حيث المعرفة والعلم ورفع منار الإسلام، ولهذا نبه العلامة اللقاني في شرح الجوهرة بعد ذكر أفضلية الخلفاء الأربعة على من سواهم بقوله: لا يشكل الحكم المذكور بالذرية الشريفة لأنه لا من حيث البضعية المكرمة يعني وأما من حيث البضعية فالذرية أفضل.

فاعلم ذلك واعرف منزلة أهل بيت النبوة وما خولهم الله من الفضل

الوهبي، واختصهم به من الشرف القربي.

هـــم القـــوم مـــن أصـــفاهم الـــود مخلصـــا
تمســـــك في آخـــــراه بالســـــبب الأقـــــوى
هـــم القـــوم فـــاقوا العـــالمين مناقبـــا
محاســـــنهم تحـــــكى وآيـــــاتهم تـــــروى
مـــوالاتهم فـــرض وحـــبهم هـــدى
وطـــــاعتهم ود وودهـــــم تقـــــوى

اعلم أن المحبة المعتبرة ما كانت مع اتباع محبتهم

قال في الإسعاف: "واعلم إن المحبة المعتبرة الممدوحة هي ما كانت مع اتباع لسنتهم المحبوبة إذ مجرد محبتهم من غير اتباع لسنتهم كما تزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة لا تفيد مدعيها شيئاً من الخير بل تكون عليه وبالاً وعذاباً في الدنيا والآخرة، على أن هذه ليست محبة في الحقيقة إذ حقيقة المحبة الميل إلي المحبوب، وإيثار محبوباته ومرضياته على محبوبات النفس، ومرضياتها والتأدب بأخلاقه وآدابه، ومن ثم قال عليّ كرم الله وجهه: "لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر: أي لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان"[1].

1- رواه الطبراني.

وأخرج الدارقطني مرفوعاً: "يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك في الجنة وأن قوماً يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام، ثم يلفظونه، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبذ يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فقاتلهم، فإنهم مشركون"، قال الدارقطني: "ولهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة" اهـ.

وقوله: الشيعة والرافضة أراد غلاة الشيعة، فيكون عطف الرافضة عليهم عطف مرادف أو عطف تفسير، أما شيعتهم الذين لم يفارقوا سنتهم من محبة الصحابة ومعرفة منازلهم في الفضل فهم القوم الأخيار المبرؤون من كل عار، وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك في الجنة)"[1].

قال موسي بن عليّ بن الحسين بن عليّ وكان فاضلاً عن أبيه عن جده: إنما شيعتنا من أطاع الله، وعمل عملنا، كأصحاب عليّ رضي الله عنه مدة خلافته وجميع من نصره وخاض معه غمرات الحروب في جميع وقائعه كوقعة الجمل وصفين والنهروان، فإنه رضي الله عنه وكرم وجهه هو المصيب في جميعها وغيره مخطئ، والكل على هدى لاجتهادهم في طلب الحق، ماعدا الخوارج الذين منهم أهل النهروان، فإنهم كفرة فجرة، لأنهم كانوا يعتقدون معاذ الله كفره بالتحكيم وكفر كثير من الصحابة

1- رواه الطبراني.

والمسلمين الذين رضوا بذلك.

وهناك طائفة من الشيعة يقال لهم المفضلة يقولون: بتفضيل عليّ كرم الله وجهه على سائر الصحابة مع اعتقاد فضلهم وعدلهم، والاعتراف بما خولهم الله من الشرف وعلو المنزلة، وهؤلاء وإن خالفوا ما انعقد عليه الإجماع، من تفضيل الشيخين على عليّ فهم أهل بدعة خفيفة لا يتفرع عليها خلل في الدين، فقد ذكرهم الحافظ السيوطي ولم يطعن في عقيدتهم.

ونقل عن الحافظ الذهبي وغيره أنهم عدول ثقات وأن روايتهم مقبولة، وشهادتهم غير معلومة، هذا مع تدقيق الذهبي في رجال الحديث إلي درجة أدته للطعن في بعض الثقات الذين زكاهم غيره.

قال: "ومن هذه الطائفة كثير من السلف والخلف وإذا أطلق لفظ الشيعة في الكتب، فالمراد منه هؤلاء مالم يقيد بالغلو، كأن يقال شيعي غال أو غلاة الشيعة، أما الروافض فهم ما بين كافر وفاسق، لأنهم رفضوا موالاة كثير من الصحابة رضي الله عنهم، والكافر من يطعن في السيدة عائشة أم المؤمنين وينكر صحبة أبيها رضي الله عنهما، ولا تشتبه بما سأتلوه عليك من كلام العارف الشعراني فإنه إنما قصد من الروافض مفضلة الشيعة كما تصرح به عبارته قال: أخذ علينا العهود أن لا نسب الروافض الذين يقدمون علياً في المحبة على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لا الذين يسبونهما لا سيما إن كانوا أشرافاً من أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنها، أو من أهل القرآن.

فإياك يا أخي من قولك فلان رافضي كلب فإن ذلك لا ينبغي، والذي نعتقده إن التغالي في محبة عليّ والحسن والحسين وذريتهما مطلوب بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾"[1]، والود ثبات المحبة ودوامها، فنسكت عن سب من قدم جده في المحبة على غيره ما لم يعارض النصوص، وذلك لأن تعصب الإنسان لأجداده الذين حصل له بهم الشرف، أمر واقع في كثير من العلماء فضلاً عن آحاد الناس من الشرفاء، ولذلك قالوا من النوادر شريف سني يقدم أبا بكر وعمر على جده عليّ رضي الله عنهم.

وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه ينشد:

إن كان رفضـــــاً حـــــب آل محمـــــد

فليشـــــهد الثقـــــلان أني رافضـــــي

فاعذر يا أخي كل من قامت له شبهة ما لم تهدم شيئاً من أصول الدين الصريحة، كإنكار صحبة أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو براءة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها واترك أمر الروافض إلى الله يفصل بينهم يوم القيامة" اهـ، وهو كلام عارف كبير منصف خبير رضي الله عنه ونفعنا به.

وقوله: من النوادر شريف سني، ليس هو مقابل الرافضي بمعناه الحقيقي،

1- الشورى آية 23.

وإنما هو مقابل الشيعي المفضل، ولذلك قال بعده: يقدم أبا بكر وعمر على جده عليّ رضي الله عنهم، والرافضي لا يقر لأبي بكر وعمر بفضل لا مقدماً ولا مؤخراً بل يصفهما بما لا ينبغي، ومعاذ الله أن يقول بذلك أحد ممن صحت نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحاصل العبارة أن الشريف السني الموصوف بتقديم أبي بكر وعمر على جده عليّ رضي الله عنه من النوادر، وأكثرهم سنيون لا يقولون بالتقديم مع حب الشيخين والصحابة جميعاً والاعتراف بفضلهم وهذا لا يضرهم في دينهم شيئاً ولا سيما إذا كان التقديم في المحبة لا التفضيل وهو الذي ينبغي حمل العبارة عليه فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال جامعه: هذا ما أراد الله إبرازه على يد هذا العبد الضعيف وتم تبييضه وطبعه في بيروت في شهر شوال سنة 1309 هجري بعد أن بقي في مسودته إحدى عشرة سنة وأسأله سبحانه أن يتقبله مني ويرضى به عني.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم أجمعين عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكرهم الغافلون وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.




تم بحمد الله

فَهْــرَسُ الْمَـــوْضُــوعَـــاتِ

تَمَّ الْفَهْرَسُ

بِحَمْدِ اللَّهِ

إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps

ISBN: 978-9938-14-002-6

